الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية:الآداب واللغات

قسم:اللّغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:...../.....

رقم التسجيل:.093052591

مذكرة مقدمةضمن متطلبات نيل شهادة الماستر: شعبة :الدراسات الأدبية

تخصص: أدب عربي حديثومعاصر

بعنوان:

الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية في رواية "جهاد ناعم" لمحمد عيسى المؤدب

إعداد الطالب

- **تواتي مصطفى**

- **تاريخ المناقشة: 2018/06/20**
- **أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الاساتذة:**

بوضياف محمد الأمين	**الرتبة: أستاذ محاضر–أ**	جامعة	المسيلة	رئيسا
كاهية باية	**الرتبة:أستاذ محاضر – أ**	جامعة	المسيلة	مشرفا ومقررا
عليوي عمر	**الرتبة: أستاذ محاضر– أ**	جامعة	المسيلة	ممتحنا

-

-

- **السنة الجامعية: 2017- 2018 م/1439- 1440هـ**

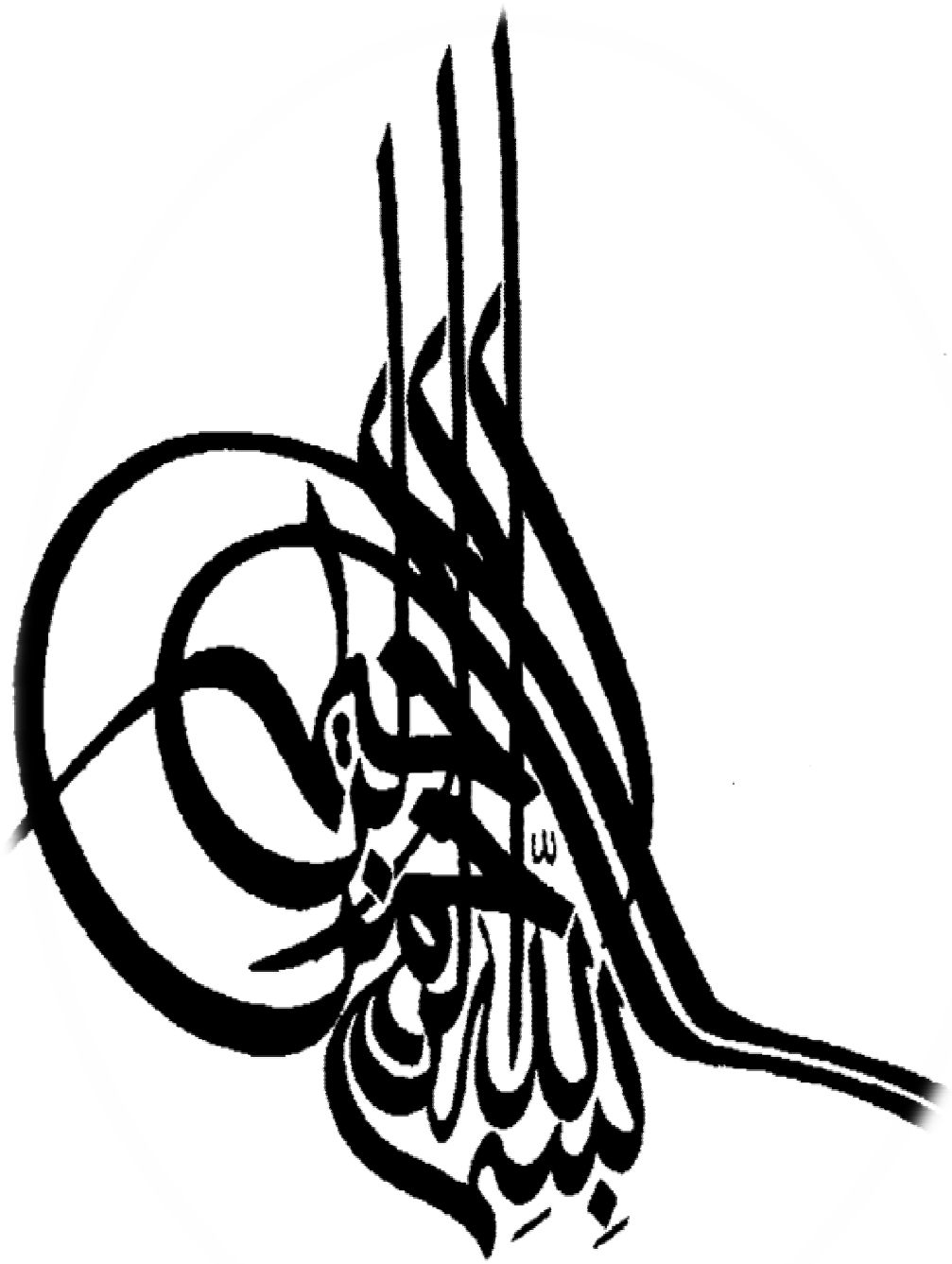
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلى بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

الى جميع اساتذتنا الكرام.

وأخص بالتقدير والشكر الأستاذة: "كاهيةباية"التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث فجزاهاالله عنا كل خير.

كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير

إلى أعضاء اللجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة البحث وبيان نواقصه والإرشاد إلى إكماله وإثرائه بالملحوظات والتوجيهات.

إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات

فطيمة،سارة، ليندة، أمال لهن منا كل الشكر.

وفي الأخير نحتسب هذا العمل لله ولا نزكي على الله عملا راجين منه أن يجعله من صالح الأعمال وأن ينفع به كل من يلتمس طريق العلم به.

ولله الحمد.

مقدمة

مقدمة:

إن ما يميز الرواية عموما عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى هو قدرتها على استيعاب التغيرات الاجتماعية والقدرة على تشخيصها في قالب روائي، فهي تتغير وتتجدد وفقا لتغيرات الراهن، وتطور شروط الحياة، كما أنها تنفتح على حدود وزوايا وأشكال أخرى لا حدود لها، مما جعلها فناً مفتوحاً باستمرار على أفق التطور، مبتعدة تماما عن الأشكال الأولى التقليدية السائدة.

ولعل تعدد المرجعيات وتنوع الأبعاد الاجتماعية والدينية والثقافية في الرواية هي من إحدى مظاهر التجديد والتجريب البارزة في مسار الرواية العربية المعاصرة.

وعلى الرغم من ما هو موجود في الرواية من جماليات خاصة بها، فهي ترتبط بعلاقات مع واقع المجتمع عموما، وهذا ما يفسره لنا بذلك، ارتباط الرواية مع ما هو اجتماعي وديني وثقافي المتعلقة بهذا المجتمع من خلال الأعمال الروائية.

ونخص بالذكر هنا الرواية التونسية المعاصرة التي سعت الى تفجير العديد من التحولات بحيث يعرف المجتمع التونسي المعاصر كغيره من المجتمعات الأخرى بروز العديد من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية التي مست المجتمع وتأثيراتها.

وهذا ما يمكن الرواية التونسية من استيعاب المواضيع، بحيث لا يوجد موضوع غير ملائم لها ،مما دفع بالكاتب المعاصر الى التحكم في مجرى الأحداث وتوجيهها حسب ما يفرضه الواقع من تغيرات وهذا ما يمثل أساس التجريب والتجديد في تطور الرواية العربية سواء على مستوى الشكل أو المضمون، بحيث يمثل هذا التجريب عنصرا جوهريا في تجارب كبار الروائيين عربيا وعالميا، كما هو الحال بالنسبة للروائي "عيسى المؤدب" في روايته "جهاد ناعم" لما فيها من الحرية في التعبير والقدرة على التطور والانفتاح، وكذا احتكاكها بهذا الواقع المتغير، مما جعلها قادرة على الاستجابة لتطورات الحاضر وتفتحه، والقدرة على اظهار البنى والدلالات الاجتماعية والنفسية والمرجعية والايديولوجية والثقافية الموجودة في

أي مجتمع، أي أنها تعد فن جرئ من خلال طرحه لإشكالات الراهن وصراعاته وأزماته، فهي بهذا المعنى شكلت تحولات وأشكال سردية جديدة ،ملائمة والسياقات المرتبطة بالواقع المتأزم المأساوي بكل أبعاده، لهذا جاءت هذه الدراسة موسومة بـ: **الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية في رواية "جهاد ناعم" لمحمد عيسى المؤدب** ويعود سبب اختياري لها هو فضول علمي، ثم عندما قرأت الرواية اتضح لي أنها رواية اجتماعية وثقافية ودينية بامتياز ،بالإضافة الى الكشف عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية فيها

كما نجد أن "محمد عيسى المؤدب" من بين المجددين الذين اهتموا بموضوعات اجتماعية معاصرة تماشيا مع التطور الحاصل، والسير نحو التجديد والتغيير، واكتشف أساليب جديدة في الرواية العربية من سمات وخصائص فنية، كذلك أريد تقديم دراسة جادة تبرز الابعاد الاجتماعية والثقافية والدينية من خلال رواية "جهاد ناعم" كون هذه الرواية لم تدرس من قبل في هذه الجوانب.

فمن خلال الدوافع والأسباب السابقة سنحاول الغوص في ثنايا الرواية بحثا عن الابعاد الاجتماعية والثقافية والدينية وذلك انطلاقا من مجموعة من التساؤلات:

- **ما مدى نضج الرواية التونسية من الناحية الفنية والإبداعية ؟**

وكيف استطاع محمد عيسى المؤدب أن يصور الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية في روايته؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة، تبين لي أن أتبع الخطة التالية:

مقدمة وفصلين تطبيقيين، تتلوهم خاتمة وملحق، فالمدخل تطرقت فيه الى نشأة الرواية التونسية بدءا بالعوامل التي ساهمت في نشأتها مرورا بالبدايات والمراحل الكبرى وصولا الى أهم اتجاهاتها، أما بالنسبة للفصل الأول فعنونته بـ: الأبعاد الاجتماعية في رواية "جهاد ناعم"، والذي وقفت فيه منذ البداية عند حدود المصطلح وتضمن المباحث التالية: تجليات الأبعاد الاجتماعية في رواية جهاد ناعم، أما المبحث الثاني: تجليات البعد السياسي

من خلال العلاقات الاجتماعية في رواية جهاد ناعم، وهي أهم القضايا التي عالجها "محمد عيسى المؤدب".

أما الفصل الثاني فعنونته ب: البعدين الثقافي والديني في رواية جهاد ناعم وينقسم بدوره الى مبحثين: المبحث الأول تناولت فيه البعد الثقافي في رواية جهاد ناعم تطرقت فيه إلى مفهوم البعد الثقافي، ثم استجلاء مكامن الالتقاء بين اللغة والثقافة وتجليات هذا الأخير في الرواية أما المبحث الثاني فكان معنون بـ: البعد الديني في رواية "جهاد ناعم" فكان التطرق فيه الى مفهوم البعد الديني وتجلياته في الرواية، وختمت هذه الدراسة بخاتمة جمعت فيها أهم النتائج المتوصل إليها لتلم بمكونات هذا الموضوع، ثم الملحق الذي كان بمثابة المفاتيح للولوج الى حياة محمد عيسى المؤدب وعالمه الروائي فكان التطرق فيه الى حياته وأهم أعماله، ثم ملخص للرواية.

واتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناول بالبحث والدراسة طبيعة الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية داخل الرواية، والكشف عن المظاهر والقضايا التي تشكل هذه الأبعاد في الرواية.

كما اعتمدت في دراستي على جملة من المصادر والمراجع التي شكلت زاد هذا البحث أهمها: تاريخ الادب العربي ل:أحمد حسين الزيات، وحاضر الرواية في المغرب العربي "لـ:عفاف عبد المعطي، "كتاب الثقافة والحضارة" ل:سلامى موسى، "الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات" ل: رشاد أحمد عبد المطلب، وغيرها من المراجع الأخرى.

وكأي بحث لا يخلوا من صعوبات، فقد يواجه كل باحث جملة من الصعوبات والعراقيل أثناء إنجازه للدراسة، تتطلب منه صبرا، وما اختيار الموضوع وجمع مصادره ومراجعه إلا جزء منها، إلا أن الصعوبات الأكبر التي تواجه الباحث أثناء التحرير نذكر منها على سبيل المثال :قلة المراجع والدراسات في مثل هذه الموضوع مما استغرق منا وقتا

طويلا وجهدا أكثر في البحث عنها، كذلك صعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع التي تحوي معلومات متتالية ومترابطة لتمكن القارئ من الفهم والاستيعاب.

أما بالنسبة للدراسات السابقة التي تناولت جانبا مهما في هذه الأبعاد، مذكرة ماجستير بعنوان "الأبعاد الثقافية في رواية نجمة للكاتب ياسين" ل: "هدى بدري".

ولعلي بهذا أكون قد أفدت ولو بالقليل عن "**الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية في رواية جهاد ناعم**" ليضل هذا العمل مجرد محاولة بحثية متواضعة، ليبقى المجال مفتوحا أمام دراسات أخرى مستقبلية تكون أكثر عمقا وإلماما بهذا الموضوع.

وفي الأخير لا يسعني سوى التوجه بالشكر الى الله عز وجل الذي أعانني على إتمامه فكان خير معين، كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة الدكتورة "**كاهية باية**" أشكرها على إشرافها الراقي وتوجيهاتها التي كانت خير عون لي في تذليل الصعوبات ،واخراج هذا العمل المتواضع ووصوله الى صورته النهائية التي بين أيدينا ،نسأل الله التوفيق والرضا والسداد في الخطى والتنوير والدجى إنه ولي ذلك والقادر عليه وحده، آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاة والسلام على سيد المرسلين.

مدخل

1- نشأة الرواية التونسية

2- بداية الرواية التونسية

3- المراحل الكبرى للرواية التونسية

3-1- مرحلة الترجمة والاقتباس

3-2- مرحلة تشكيل الوعي الإبداعي

3-3- مرحلة الاستقلال وتشكل البعد الواقعي

3-4-مرحلة ما بعد الاستقلال

4- الرواية التونسية الناطقة بالفرنسية

5- اتجاهات الرواية التونسية

5-1- الاهتمام التاريخي

5-2- الاهتمام الوطني

5-3- الاهتمام الاجتماعي

تمهيد:

تعتبر الرواية في الأدب أحد أكثر الأجناس القصصية جذبا للقراء، وأحد أجمل أنواع الأدب النثري، فهي أكثر حداثة وأكثر تطورا وتغيرا في الشكل والمضمون، فهي التي تعتمد للسرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه من جدل وتأزم للأحداث.

قد عرف العالم أولى المحاولات الروائية مؤخرا وكانت بداياتها عبارة عن محاولات بسيطة قصد تسلية القارئ وتعليمه ثم بعد ذلك ظهرت محاولات فنية جادة في كتابة الرواية، ويعد جنس الرواية في أقطار المغرب العربي حديثة الظهور، مقارنة مع دول المشرق العربي، ونخص بالذكر الرواية التونسية التي نشأت متأخرة نسبيا، لكن تطورها كان سريعا عالجت موضوعات تاريخية واجتماعية عاطفية، ومن هنا نقف عند نقطة هامة وهي كيف نشأة الرواية التونسية؟ وما هي أهم مراحلها؟

1. نشأة الرواية التونسية:

نعتقد أن المؤثر الأهم الذي مهد نشوء الرواية في تونس هو المؤثر الكامن في الذاكرة والذائقة الثقافيين ونعني به المؤثر التراثي وما قدم من اعتبار للحكي "**اعتبارا يتجاوز الإمتاع والاستمتاع، انطلاقا من قصص القرآن ومرورا بالنوادر والحكايات وصولا للمقامات والرسائل الأدبية وحكايات ألف ليلة وليلة والسير التي تجاوزت في أثرها حدود الذاكرة الثقافية كتطور من خلالها الذاكرة الشعبية عبر الأجيال المتلاحقة ...**"[1].

1 – محمد الجابلي: من آفاق الرواية " قراءة في نماذج من السرد التونسي الحديث"، دار المها، تونس، 2012، ص12.

هذا جنس الرواية في تونس ظهر نتيجة التأثر بالتراث العربي كقصص القرآن الكريم والنوادر والحكايات التي يرويها الأجداد وغيرها جعلها سببا مباشرا وممهدا ومناخا ملائما كبذور أولى لمحاولات في كتابة الرواية التونسية حتى تتطور وتكتمل.

كما كان للرحلات أو ما يسمى بأدب الرحلة الأثر البارز في ظهور الأدب التونسي وفع الكُتّاب إلى ممارسة وكتابة الرواية، والتي حاولوا من خلالها تسجيل ما شهدوه خلال رحلاتهم إلى بلدان متعددة وعكسوا كل ذلك عند عودتهم من خلال أسلوب أدبي روائي متميز "إن ظهور أدبالرحلة قد دفع بعض الكتّاب إلى تسجيل مشاهداتهم للبلاد التي زاروها، والاجتهاد في نقل تلك المشاهدات بأمانة وصدق، ودونما تكلف أو افتعال مثلما فعل ذلك محمد السنوسي في " الرحلة الحجازية"، إذ حاول " **وصف ما شاهده منتطويع العربية في عصر مبكر لتأدية الحقائق العلمية بقدر أدركها حين رآها في متاحف أوروبا ومجامعها، ومسارحها وسائر مظاهر حضارتها، فأجاد أي إجادة في أدب الرحلات، حيث كتب " الرحلة الحجازية" والاستطلاعات الباديسية**".[1]

[1] – مجموعة من الباحثين :تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ،المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون ،بيت الحكمة (قرطاج /تونس) 1993،ط1 ،ص28.

كما أن مؤثر الترجمة والتأثر والاطلاع على الآداب الغربية بلغ أهمية كبيرة في تطور ونمو هذا الفن "**لما للغرب من تسبق في تأهيل وإنضاج مدارسه المتنوعة، وهذا المؤثر الأخير موصول بالاطلاع على الآداب الغربية وخاصة المستجد منها من خلال تعريب بعض الآثار في وقت متقدم، وعلى وجه الخصوص ما نشر في "الرائد التونسي" منذ سنة 1862 من الآداب الإيطالية والإسبانية، إلا أن ما نشر آنذاك بإرادة فردية لم يتسنى له التواصل ولا الاكتمال لأن المستعمر فرض توجها جديدا منه أن فرض لغته الفرنسية وحجب التواصل أو التفاعل مع غيرها من لغات الغرب وآدابه...**"[1].

ما ميز الرواية التونسية كذلك هو ظهور دور النشر والطباعة في تونس وإنشاء المطابع والجرائد مما ساعد على ظهور العديد من كتاب الرواية وصدور بعض المؤلفات بالإضافة إلى الصحافة التي دفعت بالكتاب إلى صياغتها بأسلوب سهل بسيط يتناسب مع طبقات المجتمع وجمهور القراء" **الممارسة الصحفية التي اضطرت هؤلاء الكتاب إلى صياغة أفكارهم باللغة تتناسب ومستوى الجمهور الذي يقبل على قراءة الصحف، ويتجلى هذا التطور خاصة في أسلوب جماعة (الحاضرة)، و(النهضة)، و(الصواب)، وغيرها من الصحف باعتبارها صحف أهلية كانت تعتمد في مولودها على رواجها وإقبال القراء عليها، خلافا لجريدة (الرائد التونسي) التي كانت تنفق عليها الدولة، وتخصص معظم صفحاتها لنشر قراراتها الرسمية والقوانين والمراسم...**[2].

يلعب الحس الوطني والشعور بالقومية والانتماء عامل مهم ومؤثر إيجابي للدفع بالمثقفين التونسيين للتعبير عن انشغالات واهتمامات وخصوصيات وطنهم والواقع الاجتماعي بكل

1 – محمد الجابلي: من آفاق الرواية قراءة في نماذج من السرد التونسي الحديث"، دار المها، تونس، 2012، ص17.

2 – مجموعة من الباحثين :تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ،ص28.

قضاياه ومعاناته " ويضاف إلى ذلك تطور الحس الوطني وما يشحذه عند المثقفين من وعي ثقافي ينحو منحى السجال الفكري بما فيه من بحث عن مقومات خاصة لشخصيات وطنية بدأت تسعى إلى التعبير عن خصوصياتها في النثريات المختلفة

ك " **الصواب والمنير ومرشد الأمة والتقدم ... زيادة على ما كان يصل من المشرق وخاصة من مصر بلاد الشام من روافد حضرت المثقفين وجعلتهم ينتقلون بثبات من الانفعال الثقافي إلى الفعل الإبداعي ويتطلعون في خلق نصوص فيها تداخل بين الخيال والذاكرة وبعض أصداء الواقع وهي بالتأكيد البداية الفعلية لنشوء الرواية في تونس**"[1].

2. بداية الرواية التونسية:

هناك اختلافات بين الأدباء والنقاد حول نشأة الرواية التونسية فمنهو الكاتب الأول للرواية التونسية في معناها الحقيقي؟ فالبعض يرى أن الأدب التونسي وجد منذ البداية من العصر القديم والتراث العربي كالملاحم والسير الهلالية، وألف ليلة وليلة ...إلخ، حيث البعض الآخرين يرى بأن الرواية التونسية حديثة العهد في الظهور، وما هي إلا شكل أدبي مستورد من الخارج في القرون المتأخرة.

حيث يذهب الدكتور بن جمعة بوشوشة إلى أن الرواية التونسية كبداية أولى تتحدد زمنيا مع موفى الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات من القرن العشرين وتمثل هذه البداية أعمال محمد المسعدي ... أما البداية الثانية للرواية التونسية في رأي الباحث السالف الذكر فهي نهاية الستينات وتجسدها رواية" الدقلة في عراجينها" للبشير خريف الذي يعد أب الرواية التونسية

1 – محمد الجابلي: من آفاق الرواية قراءة في نماذج من السرد التونسي الحديث"، ص20.

الحديثة والمعاصرة " [1]، فإذا كانت بداية الرواية التونسية محددة بهذا التاريخ الذي ذكرناه فإن هناك بدايات وأعمال سابقة في الظهور تتحدد وفق مراحل عديدة ساهمت في تطور الرواية التونسية حتى وصلت إلى مرحلة النضج:

3. المراحل الكبرى للرواية التونسية:

3-1- مرحلة الترجمة والاقتباس :

تميزت هذه المرحلة بظهور الرواية لدى الكتاب التونسيون من خلال الاطلاع على بعض الروايات الغربية وترجمتها إلى العربية الأمر الذي دفع بالرواية إلى الظهور حيث "**عكف الكتاب التونسيون على ترجمة العديد من الروايات الفرنسية والإيطالية وكان ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتعتبر أول رواية ألفت بتونس رواية " الهيفاء وسراج الليل "(1906م) لصالح السنوسي القيرواني ... وبعد توالت الترجمات للعديد من الأدباء التونسيون أمثال إبراهيم فهمي بن شعبان (1892-1930) الذي اقتبس روايته " فضائح المغامرة " من شريط سينمائي، و العربي للولي ومحمد نجيب وعبد العزيز الوسلاني** ..."[2]، أي أن هذه الرواية تعتبر أول محاولات المترجمة للأدب الغربي وكان الهدف منها الحث على التخلي بالطموحات وتحصيل المعارف وكذا من أجل الدعوة إلى تحقيق الوحدة الإسلامية .

يعتبر صالح السنوسي القيرواني الكاتب الذي تجمع كل المصادر على أنه مبتكر الفن الروائي في تونس ومبتدع فن الرواية ووليدها الشرعي، فقد انتقل من كتابة الشعر إلى كتابة

1 -بوشوشة، بن جمعة :اتجاهات الرواية في المغرب العربي ،المغاربية للطباعة و النشر والاشهار ،تونس ،ص23

2 -عفاف عبد المعطي: حاضر الرواية في المغرب -العربي دراسة نقدية - دار المعارف للطبع والنشر، (سوسة/تونس)،2002،ص41.

المقالات والقصص... فعرف بمغامراته الأدبية والتطلع للإسهام في هذا الفن من الإنتاج الإبداعي، سجل لنا أول محاولاته في فن الرواية، والتي تبنت نشرها مجلة خير الدين وقدمت لها بمقدمة تدل على أنها أول رواية تونسية تؤلف"[1].

ويلي بعد هذه الروايات، محاولات أخرى ارتبطت بالواقع الاجتماعي في البيئة التونسية وأحداثها مما جعلها من ضمن الروايات ذات البعد التاريخي " **ولعل أول رواية ارتبطت بالواقع التونسي زمن التأليف رواية "طوماس" لسليم الجادوي(1892-1939) التي نشرها بجريدة " مرشد الأمة" سنة 1910... تلك التي كانت من أهم ينابيع الوعي الوطني في عهد الاحتلال ... وضمن هذا الاتجاه النضالي ألف "سليمان الجادوي" نفسه رواية ثانية عنوانها " دي كرينار" – وهو زعيم غلاة المعمرين بتونس- لكنه لم ينشر منها سوى فصول قليلة بجريدة " أبو نواس**"[2].

وغير ذلك من المحاولات التي ظهرت في هذه الفترة والتي اتسمت بالطابع الوعظي الإرشادي، وكتابها أغلبهم من المصلحين الاجتماعيين وليسوا أدباء بالفن كما تميزت كذلك بالقصور الفني، فهي بهذا المعنى لا تمثل البداية الحقيقية للرواية التونسية، وإنما تمهيد لعملية التأسيس.

3-2- مرحلة تشكل الوعي الإبداعي:

فقد ظهرت الرواية التونسية بمعناها الإبداعي، وبداية تشكل لهذا الوعي الإبداعي وذلك من خلال ما يميز هذه الفترة وظهور بعض الكتابات الروائية التي تخلت على كل ما هو تقليدي كالنصوص والموضوعات المتعلقة بالوعظ والإرشاد والتاريخ " **وهو (علي الدوعاجي)من استلم**

1 – مجموعة من الباحثين :تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ،ص39.

2 – محمد صالح الجابري: القصة التونسية نشأتها وروادها ،مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله ،تونس 1977،ص13،

موضوعات شخصياته من الواقع اليومي كونه قريب من المجتمع الشعبي وامتاز إيمانه بالحركة التجديدية في الأدب العربي، كذلك امتاز بأصالته الفنية وبتعلقه بالطبقة الشعبية"[1]، معنى هذا أن الرواية في هذه المرحلة تميزت بالتجديد من ناحية الموضوعات حيث كانت قريبة من الواقع المعاش وبطبقات المجتمع الشعبي وهذا هو التأصيل الحقيقي للرواية التونسية التي جاءت معبرة عن المجتمع ويلي حاجاته، كما نجد ظهور **أول رواية بالمعنى الحقيقي جولة بين حانات البحر المتوسط وهي تدخل في باب الرحلة، وهي تأسيس يصور الغرب برؤية خصوصية تتجلى فيها مظاهر الافتتان والانبهار وهو ينتقل بين مقاهي وحانات البحر الأبيض المتوسط لكثير من المدن الأوروبية** "[2].

ثم تأتي بعد ذلك أعمال محمود المسعدي التي جمع من خلالها كل ما يتعلق بالتراث والبيئة الشعبية "**وفي سنة 1944 أخذ محمود مسعدي في نشر أجزاء من عمل سردي طويل وسمة ب 'حدث أبو هريرة قال " كتبه سنة 1939 جمع فيه بين أساليب السرد التراثي وطرق قضايا وثيقة الصلة بعصر المؤلف وبيئته ارتقى في معالجتها إلى درجة عالية من العمق والتميز**"[3] .

3-3- مرحلة الاستقلال وتشكل البعد الواقعي:

تعد هذه المرحلة جزء هام في الكتابة الروائية التي أصبحت أكثر نضجا من سابقاتها وذلك لأسباب منها تغير الحياة الاجتماعية والثقافية وهو ما دفع بالكتاب التونسيين إلى الانفتاح على الثقافات الأخرى بفضل البعثات العلمية " **أصبحت الرواية توضع تحت مجهر النقد قصد**

1 – عز الدين المدني :علامات على طريق القصة والرواية بتونس: مجلة الموقف الأدبي ،العدد82،دمشق ،1978، ص18.

2 – محمد الجابلي: جذور التحول الاجتماعي و آفاق في الرواية التونسية ،موقع نادي القصة ،ص23.

3 – محمد الجابلي: جذور التحول الاجتماعي وآفاق في الرواية التونسية،ص27.

التمييز بين ما هو فني راقي ورديء، مع تنوع الاتجاهات الروائية، وظهرت الرواية الاجتماعية الواقعية التي كشفت فيما بعد عن زيف أوهام الاستقلال إذ وجد المواطن نفسه أمام طبقة من الحكام أكثر شراسة من المستعمر... الشيء الذي جعل نصوص هذه المرحلة عبارة عن مرايا تعكس الواقع وتفضح تناقضاته وتشوهاته، كما ارتكز الأدب عند محمد لعرسي المطوي في الاتجاه الاجتماعي الوطني حيث تدور أغلب موضوعاته حول معاناة الشعب التونسي من القهر والاحتلال نجد ذلك في روايته "من ضحايا" الصادرة عام 1964 و" التوت المر"1967م " تزوجتها سنة 1958م" وهي روايات في مجملها متأثرة بحوادث الاستقلال وروح الكفاح الوطني والدعاية السياسية..."[1]، معنى هذا أن القارئ لهذه الروايات وخاصة روايات هذه المرحلة يستطيع أن يتعرف على تاريخ تونس وخاصة في هذه الفترة التي امتدت من العشرينيات حتى الستينات التي تصور حقبة الاستعمار وما أحدثه المحتل على أراضي تونس بطريقة فنية خاصة " **يعتبر هذا الكم من الروايات هو تاريخ لفترة الاستعمار الفرنسي وهو ما يدخل في باب الرواية التاريخية التي تنقل لنا هموم الشعب في تلك الفترة أو في فترات زمنية سابقة، لأن معظم الكتاب عاشوا فترة الاستعمار وفترة ما بعد الاستقلال نقلوا الصورة الاستعمار نقلا دقيقا بكل تفاصيلها من تهميش واضطهاد واستغلال، كما صورت لنا هذه الروايات الحالة الاجتماعية من الفقر والحرمان..."**[2]

من الروايات التي تمثل البوادر الأولى للرواية التونسيةفي هذه الفترة" **منها الروايات التي جعلت قضيتها الأولى القضية الاجتماعية، (القلب الكبير) لعبد العزيز السعداوي، و(الشجرة) لمحي الدين خليفة و (المنبت) لعبد المجيد بن عطية حيث انتقلت بنا هذه الروايات من**

1 –حسني السيد لبيب ورشيد الذوادي: اتجاهات القصة التونسية القصيرة، دار الانصاف للنشر،2000،ط1 ، ص ص67–68.

2 – عفاف عبد المعطي: حاضر الرواية في المغرب العربي،ص19.

التاريخ الذييهتم بالواقع إلى طرق جديدة في الكتابة الروائية التجريبية والتيتراجع فيها الهاجس الاجتماعي وأهتم أصحابها بالشكل على حساب المضمون..."[1].

لذلك نجد هذا الإنتاج الروائي الكثير في هذه المرحلة يعود أساسا إلى أسبابمنها تعميم التعليم خلال فترة الاستقلال، مما أتاح الفرصة للالتحاق بالمدارس، والتخرج من مختلف الجامعات الأمر الذي ساهم في تطوير المجتمع من جديد الذي أصبح يهتم بالأدب وينتج العديد من الكتابات الروائية.

3-4- مرحلة ما بعد الاستقلال :

تعد فترة ما بعد الاستقلال هي المرحلة الرسمية، والظهور الفعلي للرواية في تونس والتي صدرت فيها العديد من الروايات التي طبقت على شكل كتب ثم توالت بعدها العديد من الروايات إن لم يكن ضخما مقارنة بما يصدر في بعض الأقطار المشرقية فإنه لم يدرس إلى اليوم دراسة شاملة يحسم فيها على نحو موضوعي بين ما هو متميز وما هو عادي وما هو ردي**ء**، فكل ماتظفر فيه في هذا الشأن محاولتانتصنيفيتان حديثتان للأستاذ' محمد طرشونة' "**اعتمد فيها على معيار ثنائية التقليد والتجديد... وهنا محاولة أخرى محطوطة لمحمد القاضي والاختلاف البيني بين محاولة طرشونة نفسه يدل على مدى صعوبة التصنيف في هذا الباب**"[2]، إلى غير ذلك من الكتابات الروائية التي برزت بشكل مكثف في فترة ما بعد الاستقلال فبالرغم من أن ظهورها في البداية كان محتشما إلا أنها حققت البداية الفعلية لهذا الفن الروائي.

4.الرواية التونسية الناطقة بالفرنسية:

1- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

2 - شرف الدين شكري: بانوراما الرواية التونسية ،مجلة عمان ،العدد74،أوت 2001 ،ص ص8-11.

تعتبر الكتابة التونسية الناطقة بالفرنسية ظاهرة تولدت عند فترة الاحتلال الفرنسي في تونس وكذا نتيجة انتشار التعليم والبعثات العلمية إلى خارج الوطن حيث" **ظهرت النصوص الأدبية الأولى المكتوبة بالفرنسية حوالي 1914 وكانت ظاهرة متصلة اتصالا مباشرا بالاستعمار، إذ أصبحت، جادة اللغة الفرنسية تمكن المثقف من تبوئ منزلة مهمة في المجتمع** "[1]،لكن بهذا المعنى لم نجد حضور مكثف للروائيين في هذا المجال وذلك لأن هذا الشكل من الكتابات لم يلق القبول من طرف القراء بالرغم من أنها كانت تعالج قضايا وهموم المجتمع العربي المحلي ولكن بلغة غير لغتهم "**ويعتبر محمود أصلان من المبتدئين في الكتابة الروائية الناطقة بالفرنسية ... وتعتبر رواية "ليبقى إيماني' التي نشرها عام 1958م، وهي واحدة من الروايات التونسية المعاصرة، وهي بمثابة سيرة ذاتية مليئة بالرقة والتنوع، فيها حديث عن انحسار الاستعمار ثم ألف بعدها رواية بعنوان 'امرأة من قرطاج' فهي تتحدث عن علاقة حب بين رجل مسلم وامرأة مسيحية**"[2].

بالإضافة إلى العديد من الروائيين الذين كتبوا على هذا النحو: **عادل عروي، عبد الوهاب منيب، مصطفى قلبلي**، من الروائيات نجد: **سعاد جلوز، هيليةبيجي** حيث نشر مصطفى قلبلي أول رواية له بعنوان "غص الأمعاء" 1975م، ثم " الصخب النائم" سنة 1987م و"مجد الرمال" سنة 1972م، وتدور أحداث روايته الأولى حول رجل جزائري يدعى جلال بن شريف يبحث في نفسه عن هوية بعد نهاية حرب الاستقلال، أما رواية الثانية فهي عن رجل انظم إلى الحمير الحمر، أما الرواية الثالثة يتحدث فيها عن الحادث الإرهابي الذي تم في مكة المكرمة في الثمانيات ...."[3]، وهذا ما يدل على أن معظم الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية

1 –بوشوشة بن جمعة: تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ،ص241.

2 –قاسم محمود: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،1996 ،ص178.

3 – قاسم محمود: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية ، ص180.

جاءت معبرة عن الاستعمار والإرهاب وما أحدثه من دمار مما يؤكد على الاهتمام بقضايا الأمة العربية ومشاغلها " **ومعظم الروائيين التونسيين الذين يبدعون باللغة الفرنسية يكتبون رواياتهم عن تجاربهم الخاصة، مثل هذه الروايات تدخل تحت باب السيرة الذاتية للكتاب، مثل رواية الطلاسم، وهي الرواية الوحيدة للكاتب عبد الوهاب منيب منشورة عام 1979م حيث يعتبر بطلها رجل يبحث عن جذوره بين لغته والأماكن التي ينتمي إليها**"[1].

وهكذا فبالرغم من الظهور المحتشم للرواية التونسية المكتوبة بالفرنسية إلا أنها مع مرور الوقت لقيت اهتماما كبيرا من طرف الكتاب وروادها وكذا الإقبال عليها من طرف القراء .

5. اتجاهات الرواية التونسية:

من خلال المحاولات الروائية التي ظهرت متسلسلة عبر مراحل يمكن تبين الاتجاهات التالية:

5-1-الاهتمام التاريخي:

فالكتاب التونسيون اهتموا بالجانب التاريخي في كتاباتهم الروائية من خلال استحضار للشخصيات التاريخية والاهتمام بالأحداث " **فهذا النمط من الرواية تعليمي في أهدافه لا يخلوا من تشويق في عرضه الأحداث من خلال الشخصيات لها حضور تاريخي أو هي مستمدة من أحداث تاريخية، فالاهتمام بالحدث في مثل هذه الروايات أساسي**"[2].

وقد ظهرت في ذلك العديد من الروايات التي مثلت هذه الاتجاهات التاريخية منها رواية " برق الليل" للبشير خريف فهذه الرواية كما يقدمها مؤلفها هي: «قصة شعبية تاريخية بطلها برق

1 -المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

2 - مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التونسي الحديث و المعاصر ، ص70.

الليل الذي عاش أحداثا تاريخية خطيرة في القرن العاشر هجري...» أقحم فيها المؤلف أحداثا تاريخية للتشويق[1] بمعنىهذه الرواية تعتبر علامة بارزة في الرواية التونسية فهي تعكس أحداث تاريخية وصراعات متعددة التي تعكسها التركيبة الاجتماعية في هذه الرواية.

أما رواية "الدقلة في عراجينها" للبشير خريف و"يوم من أيام زمرا " لمحمد صالح الجابري و"حليمة" لمحمد العروسي المطوي فرغم سعيها لإبراز بعض الفترات التاريخية الحديثة فإن توجهها يبقى اجتماعيا بالأساس[2].

5-2-الاهتمام الوطني:

يقوم هذا الاتجاه على مفهوم الصراع من أجل التحرر، والتعبير عن المواقف النضالية فجعلوا الوطن مركز اهتمامهم في الكتابات الروائية" الرواية النضالية ظرفية في حياة المجتمع التونسي اقترنت أحداثها بالمرحلة التحريرية ووجدت في جوانب التشجيعية غداة الاستقلال ما ساعدها على البروز بكثافة نسبية عالية وإن كانت تقنياتها تشكو الكثير من الضعف، وقد أثبتت المراحل الموالية أن مبررات كتابتها تضعف تدريجيا مما جعل نماذجها تتناقص مع مرور الوقت"[3].

5-3-الاهتمام الاجتماعي:

تتراوح الرواية الاجتماعية من خلال ما كتب أثناء هذه المرحلة بين التسجيلية وهي الغالبة والنقدية المبطنة وهي قليلة ولكن الغالب عليها هو الوصفي التحليلي وإن كان يقصر في

1 – مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التونسي الحديث و المعاصر ،ص71.

2 – بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ،ص92.

3 – مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التونسي الحديث و المعاصر، ص70

الكثير منه عن تحليل النفسيات والبنى الاجتماعية مما لا يساعد كثيرا على تنمية الحدث الروائي[1].

فهذا الاتجاه يسعى إلى إبراز الصراع الاجتماعي والاختلاف الطبقي كالعلاقة بين ثنائية الريف والمدينة وتداخل في العلاقات الاجتماعية والتغير في العادات والتقاليد التي كانت سائدة، فمن النماذج التسجيلية التي تبرز الرواية الاجتماعية في هذا الاتجاه "**مواقف تختزنها الذاكرة إحدى الشخصيات (المنيف 1958- الحمزاوي 1962- عطية1967) ومثل هذه الرواية ذات الخلفية الاجتماعية فيها رصد لعادات المجتمع وتحولاته مع مقارنة بما تفرضه الحياة الجديدة من تخل عن الموروث المعتاد**"[2].

أما النماذج النقدية للرواية الاجتماعية فهي أكثر تحليلا للمواقف وأكثر توقفا في اختيار الأصناف الاجتماعية التي تتعرض لها، ولعل رواية " **الدقلة في عراجينها** " من أفضل ما يمثل هذا الصنف بالإضافة إلى مشكل التفاوت الجهوي بين ما هو ريف تنقصه البنية الأساسية والمرافق وتسيطر عليه البطالة من ناحية وبين ما هو مدنية تضخمه أحلام الجياع والفقراء من ناحية أخرى [3] .

وفي الختام يمكن القول أن الرواية التونسية التي لم تنشأ من فراغ كذلك لم تنشا من الاطلاع على الأدب الغربي والعربي عموما وإنما كانت متكئة على جذور موصولة تفرعت وتطورت فكانت موضوعاتها جادة من حيث المضمون وممتعة ومشوقة من الناحية الفنية،

4- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

2 - مجموعة الباحثين: تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ، ص73.

المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.3 -

وبذلك سيطرت على كل الاختلالات والمعيقات التي كانت عليها في البداية كأسلوب المباشر والمجانية، وغيرها حتى أصبحت فنا قائما بذاته.

الفصل الأول

الابعاد الاجتماعية في رواية جهاد ناعم

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للبعد

2- تجليات الابعاد الاجتماعية في رواية جهاد ناعم

3- تجليات البعد السياسي من خلال العلاقات الاجتماعية في رواية جهاد ناعم

1- المفهوم اللغوي للبعد:

البعد في أصله اللغوي من« (ب، ع ، د)، والعين والدال أصلان خلاف القرب»[1]

وفي القرآن الكريم﴿ثَمُودُبَعِدَتْكَمَالِّمَدْيَنَبُعْدًاأَلَاۗ﴾[سورة هود، الآية 95].

ومن أهم معاني (البعد) مما يرتبطبالمعنى الموافق بالإطلاق، معناه إمعان النظر من أجل بلوغ اتساع مدى الشيء وغايته ومكانه وآثاره، وقدورد في المعجم الوسيط « قصد في الأمر: أمعن فيه، و(البعد) اتساع المدى[2].

وهذه المعاني تخرج من الأصل اللغوي الذي ذكره ابن فارس فالمقصود من لفظة البعد النظرة البعيدة والغائية للوصول إلى مقاصد الشيء من خلال أصوله وقواعده.

تراوحت رواية جهاد ناعم بين بعد تاريخي يرثي فيه الكاتب الأّمة العربية، وما أحاط بها من مكر وخيانات، وبعد اجتماعي تطلّبته الضرورة لنقل وتصوير فئة من مجتمع مهّش مقهور حُكم عليه إما بالقبوع في الذل والهوان، وبعد ديني صور مختلف أنواع الانحراف والخرق للمألوف في النسق السائد، وأحال إلى أفكار ايديولوجية مناهضة وعادية للدين الإسلامي، إذ جسدت أحداث الرواية كل مظاهر الصراع بين عالم الأحلام، وعالم الظلال الذي تتخبط فيه الطبقة الفقيرة من المجتمع حيث قامت شخصيات هذه الرواية المتغلغلة في الدّهاليز العميقة حيث الفقر والآفات الاجتماعية

[1] - أحمد ابن فارس :معجم مقاييس اللغة ،دار الفكر،ط1 ،1994 ،ص 142-143

2 - ابراهيم مصطفى: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، دط، دت، ص63.

متربعة على العرش بتعرية بعض المظاهر الاجتماعية التي لا تليق بالحياة الإنسانية الكريمة.

2- تجليات الابعاد الاجتماعية في رواية جهاد ناعم

2-1-البعد الاجتماعي:

يعيش الناس في هذا العالم ضمن مجتمعات مختلفة، وكل مجتمع يتميز عن غيره منال مجتمعات بتميز أفراده، ومعروف أن الإنسان خلال مساره في الحياة يتعرض لمؤثرات وضغوط ومشاكل مختلفة، والتي قد تحول دون قيام أفراد المجتمع بأدوارهم الاجتماعية وفق ما هو متعارف عليه، أو إعاقة بعض النظم الاجتماعية، فيلجأ إلى فن الرواية الذي يترجم به أحاسيسه ويطرح من أفكاره المختلفة، وذلك بالتقاط الصور الحية والنماذج التي تشخص فيها أحواله فتتجسد هذه المعاناة في روح الكاتب من خلال أفكاره، فالرواية أحيانا ترتكز على ما هو حقيقي، وما هو ملاذ للفرد الذي يود التخلص من الحمل الذي يثقل كاهله، سعيامنه إيجاد واستنتاج الحلول لمشاكله «فالمشكلة الاجتماعية هي تلك الصعوبات ومظاهر سوءا لتكيف الاجتماعي السليم التي يتعرض لها الفرد فتقلل من فاعليته، وكفايته الاجتماعية وتحد مقدراته على بناء علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، وعلى تحقيق القبول الاجتماعي المرغوب»[1].

بدأت أحداث رواية جهاد ناعم وتشابكت منذ انطلاق الرحلة السّرية نحو إيطاليا، وتعتبر شخصية نضال فتح الله الشخصية المحركة للأحداث منذ بدايتها إلى نهايتها،

1-محمد المحيسن: المشكلات الاجتماعية للشباب والطلاب بالجامعات السودانية وعلاقتها ببعض التغيرات النفسية والتربوية، مقال منشور على الموقع::http،،www.araburban.org

بالإضافة إلى شخصيات أخرى اتخذها الكاتب من جنسيات مختلفة حتّى يبين لنا واقع الوطن العربي على المستوى المحلي التونسي والاقليمي، هذه الشخصيات جمعت ما فرّقته السياسة، وبينت الوضع الاجتماعي المنحرف الذي جمع بين البطالة والجريمة، فساد القيم، الدعارة، تهريب البشر، السرقة، التستر على المجرمين، وسقوط أبرياء لا علاقة لهم بالصراع، كما بينت ما انطوت عليه الطبقة الاجتماعية من مآسي انسانية كارثية، وظهور ممارسات أخرى أكثر تعقيدا كالخيانة والغدر والانتهازية، وتعاطي المخدرات، وكل ما من شأنه تغذية الجريمة.

2-2-الهجرة غير النظامية(الحرقة):

ينظر إلى الهجرة على أنها عبارة عن «انتقال البشر من مكان غلى آخر سواء كان في شكل فردي أو جماعي لأسباب سياسية أو اقتصادية أو أمنية، ويمكن التفريق بين الهجرة الشرعية وغير الشرعية على أساس كون الأولى تنظمها قوانين وتحكمها تأشيرات دخول وبطاقات إقامة تمنحها السلطات المختصة بالهجرة والجوازات»[1].

تناولت رواية جهاد ناعم رحلة سرية بطلها "تضال فتح الله" الذي يتجه بحرا إلى إيطاليا برفقة شلّة من الشباب من كافة البلدان العربية من تونس وليبيا والمغرب والجزائر والسنغال، هؤلاء الشباب هم نموذج لفئة المجتمع المسلوبة للحياة المصلوبة على خشبة الأطماع، والتي وجدت نفسها بين المقصلة والغرق، فاختارت الغرق لتكون فريسة أكبر

1- ينظر: علي الحوّات وآخرون: مجلة الدراسات، المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، العدد28، 2007، ص2.

وضحية لكل أنواع الفساد، وهذا ما يوضحه المقطع التالي:" **البلاد التي ضيّعتني وجرجرتني إلى القرف...**"[1] .

وبطل الرواية نضال فتح الله هو نموذج لأغلب الشباب الذي عاش ذاتية خائفة ممزقة ضائعة شاردة، من ثم كان الإحساس بالقلق إزاء المستقبل، مما جعل هاجس البطالة يتكرس كيانه علقما مريرا غلف حياته وحياة الكثير من شبان جيله، وتسهم كل هذه الظروف التي خاضها شباب هذه المرحلة من فقر وبطالة، وظلم واضطهاد في الانتهاء بهم إلى مصير مجهول، وهذا من خلال قول نضال:" **المشي نحو المجهول نسفني، أظلم ملامحي ولم يتبق غير حطام الرجل الملتحي، بوجهه المغبر وجلبابه الفضفاض، الرجل المشرّد والخائف والمهان والجائع هو أنا نضال فتح الله ...أحتمي بالقصر.. أحتمي بأبي مثل طائر جريح أضاع السرب...** "[2].

هذا الواقع هو السبب الذي دفع بنضال فتح الله في ارتياد البحر، ومجاهل السفر نحو إيطاليا أملا في غد أفضل ومآل أسنى، وكانت انطلاقة الرحلة في ليلة حالكة ينقطع فيها التيار الكهربائي فيجدها نضال فرصة لإعطاء إشارة الانطلاق في رحلة ليست الأولى بالنسبة إلى نضال الذي يحترف الحرقة، وكان أول مكان للانطلاقة من الشواطئ التونسية " كاف غراب" نحو إيطاليا جزيرة "بنتالاريا"، وهذا من خلال المقطع السردي:" **كانت ليلة شديدة الظلمة،انقطع التيار الكهربائي في حدود الساعة الثامنة**

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، زينب للنشر والتوزيع ،ط1 ،2017، تونس، ص195.

2- المصدر نفسه ، ص 14.

ليلا، ولم تكن عادته أن ينقطع في تلك الساعة... هاتفت عامر وأعلمته أن الظروف مناسبة لتنطلق رحلتنا في حدود التاسعة، كان علّي أن أنهي آخر الاستعدادات..."[1].

من هنا كانت انطلاقة الرحلة بمساعدة "قيس" اليد اليمنى لنضال في ترتيب وتنسيق أمور التهريب بينه وبين الحراقة بحثا عن العمل والحياة، لتنتهي به هذه الرحلة في الظلمة الموحشة التي خيمت على حياته وابتلعت أنفاسه، وأنفاس من معه بدءا بفيلا الحراقة، والتي كانت حاوية لكل أنواع الموبقات من حشيش وخمر واغتصاب وابتزاز، ثّم المركب، وكل مكان يحل فيه بطل الرواية، وهذا من خلال ما ورد في المتن الروائي:" **في الظلمة الموحشة تسلل المركب نحو فنار راس آذار، الظلمة أخرست الجميعالرؤية كانت واضحة تماما في رأس نضال، لم تكن رحلته السحرية الأولى، بطبيعة الحال، سيلتفت أولا عندما يدرك قصر النوبة**"[2].

رحلة التسلل هذه إلى إيطاليا حملت في دهاليزها المجهولة ألوانا من الآفات الاجتماعية لا يمكن أن تحكمها الطبيعة البشرية السوية، لا شرف فيها ولا حياء ولا استحياء، كسرت فيها كل القوانين والمفاهيم الحقيقية للحياة الكريمة، والتي لم تنتج إلا العفن والقذارة والخزي والعار، وهذا ما يوضحه قول السارد:" **هذا هو الشعب الافريقي الفقير والجائع والمشّرد والمهان يقمع في بلده ويجلد بالسياط حتى يكره أرضه وأهله ويفر...**"[3].

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم،ص20.

2- المصدر نفسه، ص36.

3- المصدر نفسه، ص28.

وفي مشهد لا إنساني ذكر لنا "نضال" في رحلته عند ركوب القارب أن صديقه "عامر" وصف الشباب المهاجرين بالخرفان، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن هذا القارب امتلأ عن آخره، وهذا من خلال قوله: " **انطلق القارب المطاطي من شاطئ سيدي سالم بعنابة ليلا، كنا عشرين راكبا، تكدّسنا على بعضنا البعض كالخرفان ... معنا أطفال ونساء من الجزائر وتونس ومصر وليبيا وبلدان إفريقية عديدة** ... "[1].

إن الهدف لدى هؤلاء الشبان واحد؛ وهو الهجرة إلى الفردوس الأوروبي، أو بالأحرى هي الأحلام الملونة بألوان السعادة والفرح التي رُسِمت في أذهانهم عن عالم لا يظلم ولا يهان فيه البشر، لا وجود فيه لعصبية ولا لون ولا لعشائر ولا لمذاهب ولا لحدود جغرافية، عالم تتوفر فيه فرص عمل بعد أن ضاقت بهم سبل العيش في بلدانهم، فصاروا ينظرون إليها من قلب مثقوب.

كما نجد أن محمد عيسى المؤدب قد عاين أحداثا ومشاهدا من الواقع، إذ حملت عدة قضايا إنسانية عربية فكانت انطلاقته من عمق المجتمع العربي (الجزائر– تونس– ليبيا) حيث منابع هذه الظاهرة بالتحديد، والتي تعد الهجرة غير مشروعة بالنسبة لها جزء أساسيا من حياة شبابها .

2-3- البطالة:

البطالة هي عدم قدرة الأشخاص على العثور على عمل مقالب أجر ما، وقد عرفتها منظمة العمل الدولية :«بأنها كل من هو قادر على العمل وراغب فيه ويبحث

1 –محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص73.

عنه ويقبله عند مستوى الأجر السائد لكن دون جدوى»[1]، كما تعتبر من المشاكل الاجتماعية الأكثر تأثيرا على الفرد وسلوكه، فانعدام الاستقرار وسوء الظروف المعيشية تدي آليا إلى آفات اجتماعية أخرى تؤدي إلى تشّوه المجتمع.

يظهر أن الدافع الحقيقي الذي جعل هؤلاء الشباب يغامرون بأغلى ما يملكون هو شبح العطالة هذه الأخيرة التي نهشت عظامهم، وجعلت منهم وحوشا بشرية لا تفرق بين صالح وطالح، وهذا ما يوضحه المقطع السردي الذي جاء على لسان نضال:" **عجزنا فعلا عن توفير تلك المبالغ ... فقد أحمد شغله بشركة الاتصالات وتعكّر وضعنا ...**"[2].

حاول نضال الاعتماد على نفسه في كسب قوت يومه لكنه فشل بسبب الاستغلال والنهب وظهور التفاوت الطبقي، إذ برزت الطبقة البرجوازية التي استغلت حالة الضعفاء واستعبدتهم، بالإضافة إلى السرقات التي كان يقوم بها كبار البحارة وتجار الصيد، وهذا ما يطالعنا من خلال ثنايا النص السردي:

الحاكم يقول لنا في التلفزة سنشّي المعامل والمؤسسات وسنشغل الجميع ... يطلع ذاك، وجه الكلب ويقول لنا :

أيها الشعب حقوقكم في قلبي ثم يضع يده في جيبه... في الشوارع يطاردوننا بالماتراك ثم يجلدون ظهورنا ويصفعوننا ويرفسوننا....[3].

1- رمزي زكي: الاقتصاد السياسي للبطالة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د،ط، 1998، ص15.

2 -محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص33.

3- المصدر نفسه ، ص75.

وهذا ما يحيل شخصية نضال إلى حالة من اليأس تدفعه نحو الانفلات للسفر إلى إيطاليا بغية البحث عن عمل، بسبب اغتراب ذاته في هذا الوطن الذي لا يتعرف إليه ولا يشعر به، ولا يستطيع استيعاب ذاته، وما تعانيه من قهر نفسي، وتقوقع في دائرة البطالة، وما فرضته هذه الأخيرة من مشاعر تحت طائلة الظروف.

من هنا نلاحظ تطرق السارد إلى المشاكل التي أدت بالبطل وبأمثاله إلى الولوج في أزمة خانقة ضيقت عليهم سبل الرزق، ونشرت شبح العطالة في أوساط المجتمع التونسي، الأمر الذي فرض على البطل، وعلى الكثير من أبناء جيله الخوض في عمق البحر متوجهين في رحلة سرية إلى ايطاليا من أجل الاستعداد لمواجهة ثقل الحياة وقتامتها، وأملا في مستقبل أفضل.

2-4- الفقر والجوع:

هو عدم القدرة على تلبية الحاجات الأولية للأفراد،« والفقر بمعناه الشائع هو قلة المداخيل أو تبديدها أو عدم توزيعها على نحو عادل، كما أن الحديث عن هذا الموضوع يقودنا إلى أن نقرأ بأن الحقائق والدراسات تقول أن قلة المداخيل بالنسبة لأي مجتمع كان هو مفهوم بيني مرتبط بوضع تاريخي معين »[1]، فالفقر على اختلاف نسبه ودرجاته سواء كان فقرا معتدلا أو فقرا مدقعا من بين القضايا الاجتماعية التي تناولتها الرواية الحديثة، وتتجلى معاناة شخصيات هذه الرواية جراء الفقر واضحة في هذا المقطع السردي: " **الحاكم أغلق أمامنا كل الأبواب لم يبق لنا إلا الجوع والقهر...**"[2].

1- عبد المالك بن شافعة: المسرح الجزائري اتجاهاته وقضاياه، رسالة ماجستير جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009-2010، ص21.

2-محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص34.

هذا التصوير الذي نقلته لنا الرواية في هذا المقطع إن دل على شيء فإنما يدل على واقع الشعب العربي المزري جرّاء الفقر، والذي تغيرت به كل النظم الاجتماعية، وتسبب في انتهاك القيم الانسانية، مما جعل المواطن العربي يحي واقعه جريا وركضا وراء ما يسدّ به رمقه ويكون قوتا لعائلته .

في عالم تمزّقت فيه أواصل الرحمة والألفة، يروي لنا الكاتب على لسان الشخصية الرئيسة "نضال فتح الله" مأساة كل شخصية، والدافع الذي جعلها تخوض هذه المجازفة وهذه الجرأة الزائدة، والاندفاع في التضحية بالنفس من أجل الوصول إلى إيطاليا من خلال ما ورد في المتن الروائي :" **الجوع يا أصدقائي كافر، متلهف على كرامتنا وشرفنا ... ألست على حق عندما قررت أن أرحل؟ أجيبوني أنتم ولا تنزلوا رؤوسكم كالنعام ... ألفنا أن تنزعوا سراويلكم وخبرنا عاركم ...**"[1].

يظهر في هذا المقطع أن محمد عيسى المؤدب قدم لنا صورة كاملة عن مترافقات الجوع وتوابعه والحياة البائسة التي يعيشها سكان المدينة، فكان الفقر شبحا يلاحق المدينة وسكانها ويبطش بأحلامهم، ويعطل إمكانيات الحياة الكريمة، فبدت الحياة في تونس لوحة فنية تنبض بالألم، والجوع العارم إلى الخلاص والانعتاق من هذا الواقع القاهر الذي يجر أذياله على المدينة جاعلا الكرامة الشخصية والقيم الإنسانية عرضة للانتهاك، كما يبين لنا كيف تذوب الروح تحت ضربات الفقر، كيف تتشظى النفس وتنسحق، حيث لا يمكن أن يزدهر في ظل الجوع لا الحب ولا الوطن ولا الحياة ذاتها.

1- المصدر نفسه ، ص34.

2-5- المخدرات (الزطلة- الحشيش):

يجمع الكثير من الباحثين على أن المخدرات أو (الزطلة أو الحشيش): « هي عقاقير تؤثر على الجهاز العصبي المركزي بالتنشيط أو التثبيط أو تسبب الهلوسة والتخيلات وتؤدي بمقتضاها إلى التعود أو الإدمان، وتحذر من استعمالها الشرائع السماوية والاتفاقات الدولية، والقوانين المحلية»[1].

في هذه الرواية نجدأن محمد عيسى المؤدب قد استعار قاموسا باذخا من المصطلحات التي تصب في حقل المخدرات وكأنه واحد من مروجيها وهذا من خلال ما ورد في المتن الروائي من كلمات من بينها: الزطلة، الحشيش ،الدخان، الكيف، هذه الرحلة التي بدايتها العفن بهذه النشوات التي توزع على شباب الفيلا، نتيجة للوحدة والفقر، بالإضافة إلى مصاعب الحياة، ثم الهروب من واقع كئيب لم يستطيعوا تحمله إلى مجالس السطل وجلسات المخدرات، فتظهر ذروة معاناة الشخصية البطلةشخصية «نضال» في مشهد حديثه مع إحدى الشخصيات: قلت له: "**سأكتفي إن سمحت باللوز والفستق وليست لي رغبة في الشرب الحق، كنت بحاجة الى براميل من البيرة ... السجائر، لا مهرب منها، ظلت طوال الطريق متعرقة بين شفتي** "[2].

يظهر هذا المشهد حاجة نضال إلى هذا السم وتعوده عليه، لاعتقاده بأنها الملجأ الوحيد لإزالة حزنه، ونسيان واقعه المهترئ الذي تسوده العلاقات الفردية والأنانية، هذا

1- ينظر: رشاد أحمد عبد اللطيف: الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، د،ت، ص40.

2-محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص18.

المجتمع الآلي الذي أصبح يفتقر إلى روح الإنسانية بسبب الفقر والجوع، وتقوقعه في عالم أصبح أشبه بأفلام الخيال، عالم يعج بالظلم والفوضى والفساد.

يقول نضال :"**أشعلتُ لفافة ثانية نثرتُ التبغ فوق الورقة الشفافة البيضاء أمامي وهرشتُ الإصبع الساخن بأصابعي وخلطته بالتبغ لففت السجارةوأشعلتها**"[1]، وهذا ما يوضّح أنّ نضال لا يترك في عادته هذا اللفاف، والذي هو عبارة عن سيجارة محشوة بالحشيش، تجعل من الإنسان حيوانا بشريا، وتدخله في عالم اللاوعي بالأشياء.

هذه العملية يقوم بها المدمنون على الحشيش فسيجارة كهذه تجعل الإنسان يطير في السماء لا يرى إلا الجمال والحب والوفاء والصدق، وهذا ما يوضحه المقطع التالي:" **ثم لففت السيجارة ... مررتها إلى رحمة ... الغرفة غشيها الضباب أكثر فأكثر والدنيا صارت نشوة ... تخبّلت الرسوم أمامنا ورسمت أشكالا مثيرة، فاتنة لا قبح فيها ولا حزن ولا فقراء ولا خيانة ولا نفاق ...هي مثل الأشكال الخرافية العجيبة التي تظهر في الحكايات...**"[2]، كل هذا بسبب الأسئلة التي تنفتق من رأسه وتسبب له الضياع، فتتشكل حينئذ علاقة دائرية بين الضغط الخارجي، والمعاش الانفعالي المصاحب له، ويلعب الصراع الداخلي للشخصية دورا فعالا في محاولة إيجاد حلول لمشاكلها وسأقدم تقييما معرفيا لحالة الشخصية البطلة من خلال :

ضغط الواقع المُعاش(نفسي، جسدي، انفعالي) ⟵ إدراك ⟵ البحث عن الحلول.

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص23.

2- المصدر نفسه ، ص26.

يظهر من خلال ما سبق أن محمد عيسى المؤدب قدم ملمحا عن ذلك الألم العقلي والنفسي للشخصيات، والقلق الوجودي والتهميش المجتمعي، فوضع الإصبع على بيت الداء الذي دفع بشخصياته إلى تعاطي المخدرات، وتظهر هنا ذروة المعاناة، وانقلاب مواجع القهر والعجز وقلة الحيلة والهروب من الواقع المعاش إلى واقع النسيان والتيه، سلاحهم في ذلك المخدرات والكحول.

2-6-المرأة(الاغتصاب -الدعارة):

يعرف الاغتصاب" على أنه اتصال رجل بامرأة اتصالا جنسيا كاملا دون رضاء صحيح منها بذل وعلة تجريمه أنه اعتداء على العرض في أجسم صوره، فالجاني يكره المجني على سلوك جنسي لم تتجه إليه بإرادتها فيصادر بذلك حريتها الجنسية "[1].

رصد عيسى المؤدب حياة المقهورين، المغتصبين إنسانًيا بأشكال مختلفة، والذين هم أبطال هذا القاع المحكوم بعلاقاته المتواشجة مع البؤس والجوع والانحطاط والتيه وفقدان الهدف، وهذا ما يوضحه المقطع السردي: **قالت رحمة وهي تعيد اللفافة بين أصابعي:**

" كان لا بدّ أن أسافر إلى إيطاليا ... أنت لا تعرف الأنثى الجريحة يا نضال ... أهلي منعوني من السفر العلني فقررت أن أسافر سرا وبلا أوراق ..."[2].

1 - ينظر: محمد رشاد متولي: جرائم الاعتداء على العرض في القانون الجزائري المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1989، ص124-125.

2- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص26.

بيّنت الأحداث حالات من الاغتصاب تشتبك فيها الغريزة البهيمية مع صراع ضد الواقع في حمأة التخلص من الفقر والجوع، وعلى وقع السكر واستصراخ الزطلة الذي يضرم الشهوة البهيمية الشبقة التي يتماهى فيها الافتراس بالاغتصاب، وبلوغ نشوة عالية التوتر حد اندغام معنى الموت بمعنى الحياة، فتصور السادية الرهيبة التي يمكن أن يمارس فيها الإنسان عدوانيته بطريقة تأنفها الوحوش، حيث تحضر بقوة النزعات المركبة المدفوعة باللاوعي التي سببها الحشيش والزطلة، كما يظهر في الحوار الذي دار بين نضال وإلياس الجزائري في مشهد اغتصاب " الفتاة "علياء" من قبل "الياس الجزائري"

"عندما فتحت باب الغرفة فاجأني إلياس الجزائري واقفا كالشجرة الهائجة ... رفع حاجبيه وهو يصرخ:

الذنب ليس ذنبي يا ناس، إنه ذنب هذا الحشيش الذي دسّه الأحول في جيبي.

هتفت علياء وهي تغطي وجهها بيدين مرتعشتين:

المجرم الجبان كان يترصدني ... داهمني في بيت الاستحمام وفعل ما فعل"[1].

هذه المشاهد من الاغتصاب المدفوع بالسكر حينا، وبالاشتهاء المتأزم لغريزة مهزومة حينا آخر، حدثت تحت ضغط الحاجة والبحث عن مخرج من الحياة الموبوءة بشتى ألوان المصاعب، والتي تحمل أيضا حدًّا كبيرًا من الأنانية في واقع تميز بالقباحة والوحشية لدرجة انتهاك أجساد فتيات ونساء دفعتهن ظروف مشابهة إلى أن يصرن ضحايا هذا الواقع المتعفن والمهترئ.

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص27.

كما يشير محمد عيسى المؤدب أيضا إلى انفلات سلوك المرأة لاحتراف الدعارة في ظل مجتمع ذكوري لا يسمح لها سوى بحضور شاحب في ظل انقسام الذات الأنثوية بين المتناقضات، واصطدامها بصخرة الواقع الأليم الذي يحاصرها، بعرض جسدها للمغامرات الجنسية مقابل الحصول على المال، وهذا من خلال ما جاء على لسان "تضال" بخصوص "توال" زوجة "عليون":" **هي ملتزمة كزوجة لعزيزنا عليون، هذا أمر طبيعي، لكنّها لعوب، لا تميّز بين فأس بعلها وفؤوس الجيران ... لم تصمد طويلا أمام دولارات إلياس ... حتى انفردت به في بيت الاستحمام...**"[1].

من خلال قول السارد نلاحظ أن أزمة الشخصيات النسائية كانت بمثابة مرآة عاكسة لهشاشة الواقع المُعاش، كما كانت مظهرا من مظاهر اعتلال المجتمع واختلاله، وانحرافه بسبب الظروف الصعبة التي عاشتها هذه الشخصيات البائسة بؤس واقعها، وهذا ما يوضحه المشهد التالي:" **بيت الاستحمام صارت عندنا في ليالي الكوابيس والانتظار بيت دعارة، صالحة للشعوب الإفريقية الصديقة والشّقيقة... إفريقيا القارة ...**"[2] .

الملاحظ أن المرأة هنا مثلت جسدا يزهر أفرشة الرجل بمنحه المتعة، ونسيان الهموم، حتى وإن كانت في عصمة رجل، كما تظهر في صورة منفرة، ذات ملامح شاذة باختراقها للمسموح الاجتماعي وخيانتها لزوجها بسيرها وراء عواطفها، وتخلّيها عن مسؤولياتها في رعاية بيتها من أجل المال.

1 – المصدر نفسه، ص51.

2 – المصدر نفسه، ص52.

وكما مثلت المرأة حضورا شاحبا مثلت أيضا في بعض صورها ضبابا مشعا بالنور، من خلال تصويرها نموذجا للحب، حيث خلفت تجربة حب "نضال" للفتاة "رحمة" أثرا بليغا في نفسيته ووجدانه، مما قادته هذه الحالة إلى الحانات والبارات في محاولة لنسيان تجربة حب فاشلة ذاق مراراتها واكتوى بنارها، وهذا من خلال ما ورد على لسان نضال في المقطع السردي:" **في ذلك المساء الصيفي الحزين، قررت أن أسكر في البار القذر حتى أنسى الحب، هذا الطاعون الذي نخر أمعائي ...**"[1].

يبدو نضال هنا شديد القلق، يخيم الحزن على مناخه رغم محاولاته الجادة للظهور بمظهر القوي، فظهر من خلال هذا المقطع كتلة من الفوضى الملتهبة إلى جانب أقصى حالات العدمية والانحلال.

في هذا الجو المعكر بالمآسي تطل علينا شخصية "سما" تلك الفتاة المصرية التي هربت مع شاب أحبته وأرادت أن تتزوج منه، لكن في آخر المطاف فقد الشاب وظيفته بسبب الحشيش، ثم تعرض لحادث مرور مات على إثره لتبقى "سما" كالمجنونة، وتتشرّد بسبب خوفها من فضيحتها على هامش القرية، فتقرر الهجرة لتتخلص من العار الذي تلّبسها، في ظل هذا الواقع الذي يقدس العادات والتقاليد والتي تحكّم هذه الأخيرة قبضتها على هذا المجتمع، وهذا من خلال ما جاء في المتن الروائي على لسان سما:" **آه، أيّ قدر هذا ذبحتني الوحدة وتشردت، خفت من الفضيحة فهربت من أهلي ... قالت لي إحدى صديقاتي: الحل يا سما هو أن تهاجري إلى إيطاليا ...تدبري أمرك وارحلي بشكل عاجل**"[2].

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص110.

2 - المصدر نفسه ،ص33.

من خلال ما سبق نجد أن صورة المرأة هي صورة اقتربت من واقع معاناتها، ومحاربتها لتدارك آلامها وحاجاتها الخاصة، وتجاوز هذا الواقع عبر التمّرد عليه، فتخوض حربها للحصول على لقمة العيش خلف ستار الصمت والاحتمال، فالصبر والاحتمال، والانكفاء على الذات المهدورة الكرامة، هو نمط المرأة المضحية حتى ولو كان المضحى به هو أغلى ما تملكه المرأة ألا وهو الشرف، فعلى الرغم من أن عيسى المؤدب يعرض في هذا النص إعادة تمثيل الواقع، بطريقة تخييلية إلا أنه في نهاية المطاف جسد رؤية جماعية، عبر عن تمثلاتها للواقع، فصور القهر المادي، والنفسي الذي تعرضت له المرأة في زمن الأخطاء تمثيلا سرديا عاكسا لواقع عربي يحكمه القهر والتسلط والاستغلال.

2-7-التسرب المدرسي:

يعد التسرب المدرسيمن المشكلات الرئيسية التي تعيق سير العملية التربوية في كثير من دول العالم الثالث، كما أنه يعود بجملة من الآثار السلبية على كل من المتسرب والمجتمع المحلي، فيصبح المتسرب عضوا غير منتج في بيئته، وقد عرفه سعيد اسماعيل بأنه« ترك المدرسة قبل إنهاء مرحلة معينة من التعليم، أو ترك المدرسة قبل نهاية المرحلة المقررة»[1].

الفقر والحاجة هي بلا شك سبب من أسباب انحراف الأطفال داخل المدارس، وإدمانهم على المخدرات، فالشاب الذي لا يجد قوت يومه، وما يسد به رمقه، يلجأ إلى تعاطي المخدرات هروبا من الواقع المرير الذي يعيشه، وهذا ما حصل مع بطل رواية

1- سعيد اسماعيل علي. ص175، 1979، القاهرة، دار الثقافة، السعودية العربية المملكة في التعليم عن دراسات:

جهاد ناعم حين طرد من المعهد:" **كنت أوزع الكمية التي يسربها لي قيس على تلاميذ انقطعوا عن الدراسة، أنتقيهم بدقة، أختار في العادة أصحاب السحنات الخشنة، ولا أبخل عليهم بشيء ... وهم يتكفلون كالشياطين ببيعها** ..."[1].

لقد صور عيسى المؤدب وقائع عاشها المجتمع العربي، خلال العشرية السوداء. ولا يزال يتعايش معها حتى الآن نضال الذي طُرد من المعهد بسبب سلوكه وتمرده على النظام الداخلي للمؤسسة، هذا السلوك الذي يتصف بملامح الفقر والعوز، فقد اتصف نضال ببعض صفات الشخصية السّيكوباتية، وهي إحدى الشخصيات المدروسة في علم النفس حيث« تتصرف هذه الشخصية بدون تخطيط مسبق، ومن اندفاعية تمنعه من التدبر »[2]، وهذا جلي في شخصية نضال فتح الله من خلال تصرفاته" **الأستاذ باغتني وشتمني.. أيها الكلب، ألا تسمع؟ أخرج، صاح في وجهي ... هل كنت في وعيي الإنساني عنما صرخت في وجهه وهممت بتعنيفه؟ ماذا حدث بعد ذلك؟ هو أنهم طردوني طردا نهائيا بسرعة البرق...**"[3].

يتبين من خلال هذا المقطع أن الحقد على هذا الواقع المحتضر نما منذ الصغر في نفس نضال نتيجة للحالة الاجتماعية المزرية التي عاش فيها مما جعله شخصا ناقما على المجتمع بأسره، السبب الذي دفعه إلى اختلاق المشاكل من أجل مغادرة مقاعد الدراسة، ليتوجه إلى بؤرة المحن آملا بغد أفضل فيجد نفسه في متاهات ومزالق تجمعت فيها كل أنواع العفن والمشاكل الاجتماعية.

محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص1.79 –

2– ينظر: محمود عبد الله خوالده: علم النفس الإرهابي، دار الشرق، ط1، عمان، ص144.

3– محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص78–79.

3- تجليات البعد السياسي من خلال العلاقات الاجتماعية:

3-1- السلطةوالشعب:

يرتبط معنى السلطة بالخضوع والطاعة، وفكرة السلطة المعترف بشرعيتها تستمد الكثير من قوتها من ارتباطها بالتزام «القابضون على زمام السلطة السياسية هم الذين يملكون دون غيرهم، خاصة التكلم باسم المجموعة بكاملها وخاصة وضع هذه المجموعة في اتجاه معين والزامها به، وبهذا المعنى يتمتع هؤلاء بسلطة عليا أقوى من كل السلطات الباقية، التي تتفرغ منها باعتراف صريح أو مضمر، ولديهم القدرة داخل ميدان عملهم، على إجبار الجماعات الاجتماعية والأفراد المستقلين على الطاعة الكاملة» [1].

كما تعرف السلطة بتجبرها وتعصبها إزاء قراراتها وعدم الرضى بمناقشة قراراتها أو معارضتها ويتجلى ذلك من خلال الرواية في المقطع السردي التالي:"**ماذا ابتكرت لنا الدولة غير الأداءات ...أداءات في المطابخ وبيوت النوم... في الحلم واليقظة وبين الظفر واللحم ... الحكام هم الجناة والمجرمون، ينهبون الخيرات ويكّسون الأموال ثّم يهّربونها...**"[2].

نتلمس في هذا المقطع الواقع اللامعقول والمزري الذي لا يحقق الحياة الكريمة للإنسان العربي، ويجعله أرخص الأشياء التي لا قيمة لها، بسبب السلطة الحاكمة المستبدة التي تملك سيفا مسلطا على رقاب الشعب، ولَكْمِ الأفواه ووأْد الكلمة في مهدها، وهذا ما جاء من قول على لسان نضال حول حكم أحد البايات؛ وهو الباي السعيد "

[1]- ينظر:جان مينو: مدخل إلى علم السياسة، تر: جورج يونس، منشورات عويدات بيروت، باريس، ط2 ،2911 ،ص 96.

2 - محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص28.29.

كنت على يقين أنه سيحرق الجميع ... كنت متأكدا أنه سيأتي على المولود والمفقود ليسعد هو ... يسوق الناس كالنعاج .. الأيدي اللاهثة والمشنوقة والمتراخية تنحني وتلّوح له من بعيد، الباي السعيد، الباي الصنديد"[1].

من خلال قول نضال فتح الله نتعرف على حالة البؤس التي يعيشها سكان قريته، كما أمكننا التعرف أيضا على هذا النظام القائم على القمع والاستبداد، وكّم أفواه الناس، وتغييب الحريات العامة، وبسط النفوذ في واقع مهترئ، فضلا عن القهر والنهب، والتعسف وغياب حرية الرأي والقدرة على التغيير، وهذا ما يوضّحه المقطع التالي:

" أما صاحبنا عاطف فقد قبضوا عليه وقادوه إلى مكتب ضيق في مدخل الوزارة ...

سأله المحقق:

أجننت أيها الأبله؟... ما هذا التشويش أمام مبنى حكومي سيادي؟

أجاب وهو يسوي قبعته على رأسه:

أنا لا أشوش، بل أطالب بحق هذا الشعب الغافل والمسكين[2]

هذا المقطع المحاكي للواقع السياسي إن دّل على شيء إنما يدل على صور ممارسة السلطة دون مراعاة واحترام الحدود القائمة بين الحاكم والمحكوم، وكذلك الطاعة المطلقة للخادم والتي أصبحت قرارا صادرا لا يقبل الجدال والمناقشة، وقد مورست

المصدر نفسه، ص1.15-

2- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص56.

السلطة مجسدة في شخصية البايات، والتي لم تقبل المعارضة من طرف "عاطف" الذي حاول أن يمثّل الشعب المحكوم.

الملاحظ أن محمد عيسى المؤدب قد تطرق إلى واقع الحكام في البلاد العربية عموما، وتونس خصوصا بكل ما يحمله هذا الأخير من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية، والتي سمحت له بتسليط الضوء عليها، وعلى الصراع الدائر بين الشعب والحكام، وكل ما يحمله هذا الصراع من فقر وبؤس ومظاهر تخلف، فكانت الغاية منه تحريض المواطن العربي لرفض الواقع المؤلم الذي يرزح تحت سطوته، وكذلك تغييره إلى واقع أكثر سموا.

3-2:التهميش والحاجة إلى الانتماء:

يأتي تعريف التهميش والهامشية على "أنه نمط من الحياة على هامش المجتمع وعدم قبول الفرد فيه، وقد يعاني الفرد من انتمائه الغير واضح تماما لإحدى الفئات الاجتماعية أو السياسية، أو أن يكون هذا الانتماء غير معترف به، وقد يكون نتيجة لصراع نفسي ما، والانتماء الى الجماعة يمنح الفرد الشعور بمعنى الحياة، وفرض ذاته وينمي روح المسؤولية لديه ويعزز التزاماته وهو ما يحفزه على أداء واجبه على أحسن وجه، فالحاجة إلى الانتماء هي حاجة الفرد أن يكون في جماعة، متوحدا معها ومقبولا، ومستحسنا فيها، وله وضع آمن فيها، والوجود الحقيقي للإنسان يتحقق من خلال تلاقيه مع غيره من الأشخاص ومن خلال تعامله مع مجموعة من الأشياء"[1].

1 – هانم ابراهيم: الانتماء والقيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، د،ط، ص10.

والحاجة إلى الانتماء يقوم على شعور الفرد بأنه جزء متكامل من جماعة ما، وما يقوي هذا الشعور ويؤكده؛ دور الفرد داخل الجماعة كقيامه بأعمال تعود على الجماعة بالنفع، ورواية "جهاد ناعم" صورت لنا جانبا من ظاهرة التهميش المتفشية في المجتمع العربي عامة والتونسي خاصة، هذا من خلال ما جاء في المقطع السردي على لسان بطل الرواية نضال:" **الشّباب، آه الشباب، لهم النار تحرقهمأو البحر يبتلعهم ... من تبقّى منهم يستسلمون للموت البطيء، ليس لهم غير الحشيش والكحول والنّساء...**"[1].

من خلال هذا المقطع يظهر رصد محمد عيسى المؤدب للواقع العربي المهمش، وملامح المسكوت عنه، ورسم سلوكيات الشخصيات التي تدين المجتمع وتعري ممارساته، وتبرز الزيف في وسط موبوء بالغربة والهامشية، وما سببته هذه الأخيرة من غرق في مستنقع المحظورات، والعيش في متاهات الوهم نتيجة ما تعانيه هذه الطبقة من تمزق وإحباط وشقاء في هذا العالم الذي يعاني حالة من الاحتضار.

شخصية أخرى من عالم آخر تروي قصتها في واقع ظالم مستبد بالمعدومين، في ظل دولة لا تعرف للرحمة طريقا، إنها سلوى ماتت أمها حزنا على أبيها، الذي مات في السجن، إنه سجن الرومي، ككل السجون العربية، لا رحمة فيه ولا شفقة، إما أن تنضم إلى العصابات الموجودة داخله من حرس وسجناء، وإما أن تموت كالكلب، وهذا ما يوضحه المقطع التالي:" **المسؤولون في الصفقات العمومية لدى مصالح التجهيز ... لفقوا له كل التهم وآخرها معارضة سياسة الدولة، وتعطيل مشاريعها التنموية...**"[2].

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص29.

2- المصدر نفسه ، ص34.

وهذا ما حدث مع أب سلوى الذي كان معارضا للفاسدين، إنه لم يسرق ولم ينهب بل جريمته في ذلك أنه نبه للسرقات التي كان يقوم بها المسؤولون.

هذا المقطع إن دل على شيء إنما يدل على أن الشعب العربي في بلده هو مجرد قطعان من الخرفان لا تصلح إلا لأكل لحومها، والمواطن العربي أصبح يحس بغربة في بلده الأم، يخيل له أنه سجن كبير مقفل بالسلاسل لا عناد فيه ولا فرح، لا أحلام بل الأدهى والأمر احتضار طموحاته وموتها قبل موته هو.

الملاحظ أن هذه الشخصيات تبدو شخصيات يائسة هاربة تبحث عن توازنها في عالم من التناقضات والرعب والقتل والجوع والسكر، لكن بالرغم من ذلك فهي تسعى جاهدة إلى البحث عن حلول لمواجهة مشاكلها، وتجاوز محنتها في مجتمع مغلوب على أمره تسوده مختلف الأزمات العسيرة.

3-3:العنف والتطرف-الإرهاب-:

تقوم الدول على أنقاض دول سالفة والمجتمعات كذلك تقوم على أنقاض مجتمعات أخرى سالفة، وقد يميز هذه الدول بعض المخالفات بين مواطنيها، وميلهم لطرف ما في الحكم أو في البلد يلجؤون إلى تأييده على حساب غيره، مما يخلق الفوضى ونوعا من العنف؛ هذا هو التطرف، وهو أيضا «نسيج فكر معين أو خليط معتقد معين أو اتجاه جماعة معينة، فإذا بمعتنق الفكر مغاليا، وصاحب المعتقد متشددا وعضو الجماعة متطرفا ولا يمكن أن يتخلى أحد عن مغالاته أو تشدده أو تطرفه»[1].

1- محمد سعيد العشماوي: التطرف الديني وأبعاده السلبية أمنيا وسياسيا واجتماعيا، مجلة المنار القاهرة، عدد 26 ،1987، ص 39.

وفي رواية "جهاد ناعم" عرض لمثل هذه المظاهر من التطرف والعنف، وهذا من خلال ما قاله صديق لعاطف في حوار مع محقق الشرطة بعد مقتل صديقه عاطف:" **عرفت، يا رفيقي أول أسرار الخيانات والأكاذيب والحركات الاستعمارية التي خربت أراضينا... علمت أيضا، أيها المحترم من تلك الصفحات خفايا النكبة ثم النكسة ... لعلمك اطلعت بالفعل على دواعي زرع الإرهاب والارهابيين في أفغانستان والجزائر وأرض الشام** ..."[1].

يقودنا هذا المقطع للحديث عن صورة التطرف في العشرية السوداء، ويحفر في مناطقه المظلمة ليكشف خباياه ويصرّح بالمسكوت عنه ويشخص الأصوات المقموعة، كل هذا كان على لسان بعض الشخصيات حول النظام لتفريطه بالشعب، فيما يكاد يكون إيحاء بتعاونه مع التنظيم الإرهابي، وغضّه النظر عن جرائمه.

وفي مقطع آخر يلقي عيسى المؤدب الضوء على الطبائع الشخصية التي يمتاز بها الإرهابي عن غيره، وأشار إلى إرهاب الدولة وما يعانيه الآمنون من القتل والذبح والرجم والهدم، كما سلط الضوء على مظهر الإرهابي، وكيف للمرأة أن تندسّ بين الرجال، في عالم انحطت فيه القيم الاخلاقية، و تداخلت فيه المفاهيم، عالم لم يرحم الكنز الرباني الثمين الذي توسخ بقذارات هذا العالم، وهذا من خلال ما ورد على لسان صباح عند زواجها بالسعودي أبو علي:

استأنفت صباح

بصوت منخفض:

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص57.

عندما وصلنا إلى منطقة

تلْ ... استقبلنا أحد القياديين بوجه كأنه خارج لتوه من لقبر، كلّف زوجي بمهمة الإسنادية، ما روّعني بعد ذلك شكل الخسيس وهو يبحلق في جسدي، نفخ بفمي ثم طلب مني أن أساعد المقاتلين بدوري ...

القذر أبو علي فهم بالضبط ما طلبه مني الحقير وأنا بقيت صاغرة، عمياء أو بالأحرى غبّية[1].

يظهر من خلال ما سبق أن عيسى المؤدب حاول تشخيص مرجعية ثورية أرادت تحقيق مآربها الشخصية دون الاهتمام بمصلحة العامة من الشعب، والتي كانت أيضا طرفا أساسا في معايشة الشعب العربي لسنوات العنف وتحولاته السلبية، كما تطرق إلى مسألة الانتماء الوطني من خلال شخصية تنوب عن المجتمع ككل، وهي شخصية المثقف صديق عاطف من خلال التهم الموجهة للسلطة والحكام، هذا الشعب الذي واجه عدوا شرسا داخل الوطن الأم الذي كان دستوره الإرهاب وترويع أبرياء كل جنايتهم أن حظهم العاثر أوجدهم في اللحظة التاريخية الحزينة، وهي لحظة الربيع العربي والانفجار الانساني لضمير الشعب، فتحولوا لضحايا على يد الإرهابيين.

3-4- المافيا-السجن:

المافيا هو مصطلح يستخدم لوصف نوع من نقابة عصابات الجريمة المنظمة التي تمارس الحماية بالابتزاز في المقام الأول، ثم استخدام الترهيب العنيف للتلاعب

1- المصدر نفسه،ص220.

بالنشاط المحلي، وبخاصة الاتجار غير المشروع، ويمكن أن تمارس أنشطة ثانوية مثل تجارة المخدرات، والقروض بفوائد مرتفعة، التزوير [1].

عرف النضال اليأس والإحباط، مما جعله يستسلم لشتى الأساليب، التي شوهت صورته، فكان مقتنعا أنه لا مجال للتراجع، لأنه كان يحلم بعالم أفضل بين فرح الحياة والرعب، بين العنفوان والخجل، فقاده جشعه إلى الاندساس بين الفاسدين، بعد أول جريمة قتل قام بهادون وعي، والتي لم يحسب لها حساب:" **تجلدت وغالبت الانفعال ... أن انحني وأتجنب التيار هذا أمر معقول لكن أن أكون شريكا في جريمة بشعة مثلما رأيت فهذا ما يسميه أبي الخزي والعار...**"[2].

أصاب وجه نضال حزن مغطى بالألم، وبدا التشاؤم واضحا مسيطرا على نظراته، التي لامست سمات الرعب والخوف البادية على محياه، وكانت هذه أول اشارة لمحها في نفسه أنّ الوضع أخطر مما كان يتوقع في عالم دامس لا يظهر على حقيقته، كان صعبا جدا عليه فهم ما يجري حينها، فقد خيم على عقله نوع من القلق وكأنه غيمة سوداء عبرت على ناظريه في تلك الليلة الشبه مفقودة، في هذه الأثناء تعمدت "أريانا" أن تكشف الغطاء له، ولم يكن لدى نضال أي شك أنها غارقة إلى رقبتها في الشر من خلال الحوار الذي دار بينها وبين نضال بقولها:

" **هنيئا لك يا نضال، أخفيت عنك المفاجأة، والآن حان وقت التصريح بها.**

هذه الافعى ستدفع بي كعجلة في منحدر، قلت في نفسي لاهثا.

1- منارة دمشق ،مقال منشور على https://www.babonej.com/mafia

2 - محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص148.

السيد كاراس قرر أن يعينك المسؤول الأول عن هذا المستودع، لا تندهش يا عزيزي أنت تحظى بثقة رئيسنا"[1].

من خلال هذا المقطع كانت انطلاقة نضال في حرب المافيا دون علم منه، فبعد أيام قليلة من استلام نضال لهذا العمل، وبينما كان يغط في النوم، داهمته الشرطة، وأعلمته أنه مطلوب للعدالة الإيطالية بسبب المتاجرة بالآثار المهربة، والمخدرات، وسقوطه في عالم القذارة والتلوث، فانهارت قواه كليا، وهذا ما ورد على لسان السارد:

داهمتني ثلاث قامات ضخمة وفظة، وكانوا معصوبي الوجوه...

صرخ أحدهم:

"انهض، انهض يا نضال فتح الله، لا تحاول المقاومة، أخيرا كشفناك، أيها الخسيس، ماذا كنت تظن، ستفلت من لأيدينا؟ كنا ننتظرك يا قرد وننتظر رائحتك الكريهة[2].

وضعوا الحديد في يدي، ودفعوني أمامهم... مضغت الذل وهم يدفعونني وانثال على رأسي عذاب أليم..."[3].

يتبين لنا من خلال ما سبق أن نضال كان يرتجف رعبا، وينظر بكل الاتجاهات، وكأنه يفتش على الذين يستعدون لقتله، كل هذا بسبب خيانته لوطنه، والتي قادته هذه الأخيرة سجينا مرميا في سجن" المرناقية" ينتظر المحاكمة المستحيلة.

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد، ص149.

2 - المصدر نفسه، ص177.

3 -المصدر نفسه، ص178.

كان سجن نضال يعني للعديد من أبناء جلدته مصير كل من انقاد وانجرف وراء طمعه، كان تهديما لمستقبله، وطحنه تحت مسمى ممارسة المحظور، وانقياده وراء غرائزه أملا في مستقبل أفضل، في بلاد أخرى غير بلاده، أخذت فيها المافيا مكانا للسيطرة على حياة الشعوب، وانتزاع الحريات، وقتل مفهوم المواطنة.

صورت رواية جهاد ناعم الوضع المزري الذي آل اليه وطن الكاتب في فترة من أشد فتراته حرجا – فترة الربيع العربي– فمثلت أحداث الرواية المأساة التي صنعتها أطراف عديدة متشابكة، أشار إليها عيسى المؤدب مباشرة، دون إيحاء أو ترميز، بل وضع عليها اليد متهما ومدينا إياها، فأعطت هذه الأحداث صورة عن وطن منكسر دمرته أيادي داخلية بالنهب والسلب فأصبح لا يحوي إلا الخوف والرعب والإيذاء، فحالة التشريد التي عاشها نضال فتح الله، والتي اضطرته إلى الهجرة إلى بلاد غريبة عنه مرتبطة بالحالة الغير طبيعية التي عاشتها البلاد في تلك الفترة.

افصل الثاني

البعدين الثقافي والديني في رواية جهاد ناعم

- **البعد الثقافي في رواية جهاد ناعم**

أولا: مفهوم البعد الثقافي

ثانيا: علاقة الثقافة باللغة

1-المرويات الشعبية في رواية جهاد ناعم

2-العادات والتقاليد

3-الاستشراق

1- مفهوم البعد الديني:

2- الجهاد والإرهاب من المنظور الديني

3- الجهاد والإرهاب في روية جهاد ناعم

❖ **البعد الثقافي في رواية جهاد ناعم**

أولا: مفهوم البعد الثقافي:

الثقافة هي حياة الإنسان لا وجود لها بدونه، كما لا قيمة له بدونها، فهي ليست مقتصرة على جنس دون الآخر، أو مكان دون غيره فالثقافة لا تعرف بل لا تعترف بالحدود البشرية ولا الجغرافية، حيث أنها ارتبطت بالإنسان وجودا وزمانا ومكانا، ولذلك فهي قابلة للتغير تقدما واعظا، والأمر في خاتمته يعود إلى ذلك الكائن المسمى بالإنسان، هذا الإنسان الذي ميزه الله تعالى على سائر الخلق بالعقل.

نجد أنّ مفهوم الثقافة واسع وفضفاض يسوقنا بعديد من المعارف والعلوم التي حاولت تعريفه من زوايا ورؤى مختلفة، لكن سنحاول التطرق إليه من الناحية التي تخدم أهداف بحثنا، وللصول إلى تعريف مناسب أو دقيق للثقافة يجب البحث في المعاجم والقواميس، وهذا ما يمكننا من الوقوف على دلالات هذه المفردة، وعن التطور الذي حصل لها .

2. لغة:

يحمل ابن منظور "مادة (ث، ق، ف) في عدة أماكن منها ثَقَفَ الشيء ثقفا وثقافيا وثقوفة، حذقة، ورجل ثقف حاذق، وثقف حاذق، اتبعوه فقالوا، ثقف، لقف، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعليم ففي الحديث الهجرة: وهو غلام لقف، ثقف أي ذو فطنة وذكاء، إنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه" [1] .

1 – ابن منظور: لسان العرب، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، باب الثاء، مادة (ث، ق، ف)، ص 329.

من خلال التعريف اللغوي للمفردة ' ثقافة' يتبين لنا أن مصطلح الثقافة عند القدماء بمعنى المعرفة والفطنة والحذق والسرعة في التعلم بالإضافة إلى العمل المستمر الذي يوصل صاحبه إلى الإلمام والوعي التام بما يحيط به.

3. **اصطلاحا :**

إن المعنى الاصطلاحي لكلمة الثقافة أوسع من التعريف اللغوي عند المحدثين وأول التعريفات ما كتبه **إدوارد تايلور** في كتابه الثقافة البدائية حيث عرف الثقافة بأنها" **ذلك كل الموكب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين....**"[1]

وما يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن مصطلح الثقافة ينقسم إلى قسمين :

4. **قسم حسي:** وهو ما يكتسبه وينتجه الإنسان من مخترعات

5. **قسم معنوي:** هو ما يتضمنه من عادات وتقاليد وأعراف وقيم وأخلاق هي سلوكيات يمارسها الفرد خلال حياته اليومية، ويعيد **تايلور** أصل الكلمة إلى اللاتينية(**Culture**) وتدل على رعاية الحقول قطعان الماشية أما زراعة الأرض(**Laculture– De la Terre**)، ثم بدأ المضمون الدلالي للمفردة يتطور بتطور الأفكار ليتحول إلى معنى تهذيب الأرض إلى معنى تهذيب الفكر.

ولقي مفهوم الثقافةعدة تعارف لغوية نذكر منها ما جاء في معجم **واستر(Wester)**، بأنّ الثقافة هي الاستنارة وحسب التفكير بحسب التفكيروحسب التذكير بفضل الترتيب العقلي والذوقي والفحوى الفكرية الفنية لحضارة، وأنها إنتاج

1 – دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص30.

اجتماعي إنساني كذلك تتعلق الثقافة بطريقة التفكير والشعور والسلوك والتي يصورها الفرد رمزيا لتميزه عن غيره.

فالثقافة هي المركب الشامل من التفاعل الاجتماعي الذي فهي تلعب دورا كبيرا في إعداده يكون أكثر فعالية في المحيط الاجتماعي، كذلك ما كتبه **ماثيو أرنولد (Matthew Arnold)**مهمة النقد في الوقت الحاضر 1865 الذي يعتبر الثقافة هي ذلك الإرث الحضاري من فكر إنساني، فالثقافة تشمل الحضارة والحضارة تمثل الجانب الفكري أو المعنوي من الثقافة وهذا يدل على أن الثقافة أوسع من الحضارة، الثقافة تتصل بقدرة الفرد والمجتمع على فهم الحياة والسيطرة عليها كذلك يعرفها العالم الأنثروبولوجي **رالف لينون (Ralph Lennon)**في كتابه الأنثربولوجيا وأزمة العالم الحديث أنها، "**مصطلح ملائم لتعين المنظمة من العادات والأفكار والمواقف التي يشترك فيها أعضاء أي مجتمع ولذا يكاد يكون من المتعذر على أي عالم أنثروبولوجي (Anthropologue) أن يبحث في هذه الأمور دون أن يستعمل هذا المصطلح**"[1]، أما عند **ويلر**فيعرفها قائلا: " **الثقافة هي أسلوب حياة الجماعة أو القبيلة تتضمن مجموعة من المعتقدات**"[2].

أما مفهوم الثقافة بالمنظور العربي فإن **سلامة موسى** هو أول من أطلق لفظة ثقافة بمعناها الأوربي في اللغة العربية فيقول: " **كنت أول من أفشى لفظة الثقافة في الأدب العربي الحديث ولم أكن أنا الذي سكت فإنني انتحلتها من ابن خلدون، إذ**

1 – رالف لينون: الأنثربولوجيا وأزمة العالم الحديث، تر: عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1967،ص 27.

2 – هدى بدري: الأبعاد الثقافية في رواية نجمة للكاتب ياسين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ المتقدم الجابري، كلية اللغة والأدب العربي والفنون ، جامعة باتنة، 2015–2016، ص 22.

وجدته يستعملها في معنى شبيه بلفظ فلكلور في الأدب الأوروبي، الثقافة هي العارف والعلوم والآداب والفنون التي يستعملها الناس ويتثاقفون بها وقد تحتويه الكتب وذلك هي خاصة بالذهن"[1].

ثانيا: علاقة الثقافة باللغة:

اللغة هي وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد وهي مجموعة من الرموز المتعارف عليها في المجتمع، وتعتبر اللغة هي جزأ لا يتجزأ من الثقافة " **ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وسعته، تلعب اللغة دورا ذا أهمية أساسية إذ هي تقوي الرابط بين أعضاء هذا المجتمع، وهي في الوقت نفسه رمز إلى حياتهم المشتركة وضمانا لها**"[2].

إن الفصل بين اللغة الثقافة يعد عملا منافيا لطبيعة كل منهما، إن اللغة تعد مظهرا من مظاهر الثقافة أي المجتمع لذا يمكن أن تصف الثقافة بنفس الطريقة التي تصف بها اللغة، فالعلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن اللغة أساسا ثقافيا، وأيضا نظاما يلتزم به الفرد.... يقول :«كلود ليفي ستراوس » **Claude Lévi- Straus**" **اللسان والثقافة يرتبطان ببعضهما عبر علاقة ارتباط متبادل، فاللسان الذي يتخذ مجتمع معين يعكس الثقافة عامة للسكان بمعنى آخر فإن اللسان جزء من الثقافة ، إنه يشكل أحد عناصرها**"[3].

1 – سلامة موسى :الثقافة والحضارة، مجلة الهلال ،ديسمبر، 1927، ص52.

2 – إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص159.

3 – دون كروش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص30.

قد تحدث أو تطرق محمد عيسى المؤيد في روايته جهاد ناعم إلى علاقة الثقافة باللغة من خلال بعض النماذج نذكر منها:

إن الفن القصصي طريقة حديثة في كتابة الروايات، وهي ما جعلت المتلقي يتشظى داخل أحداث الرواية، خليل ذلك الرجل الذي هزم الطليان، وتزوج من امرأة إيطالية أحبها يقول الكاتب "**بعد زواجهما، تغيرت جوليا، تغيرت كثيرا تعلمت بعض الكلمات بالعربية ودأبت كل صباح على طهي الخبز في طابونة أعدها خليل، كانت تجمع الحطب أيضا وتصطاد السمك...**" [1] ، الزواج بالأجنبيات هو تقاطع ثقافي بين الشمال والجنوب" **خليل أبن البحر تعلم لغات الطليان والفرنسييس والألمان....**"[2]، فقد أشار الكاتب هنا إلى أن اللغة هي الوسيلة الأمثل للتقارب الثقافي فقد بين الكاتب علاقة الثقافة باللغة لأن هذه الأخيرة هي " **نسق من العلامات (Signs) نعده ذا قيمة ثقافية لأن المتحدثين يعبرون عن هويتهم وهوية الآخرين من خلال استخدامهم لها، فهم يرون أن استخدامهم للغتهم رمز لهويتهم الاجتماعية، ومنع استخدامها رفض لهويتهم وثقافتهم وعليه يمكن القول : إن اللغة ترمز لواقع ثقافي**"[3]، وهذا يؤكد على الصلة العميقة بين اللغة والثقافة لأننا لسنا سجناء المعاني الثقافية التي تطرحها لغتنا بل يمكننا إثراء المعاني وتجاربنا من خلال التفاعل مع لغات وثقافات مختلفة، وهذا ما أكده الكاتب في روايته .

1 –محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم،زينب للنشر والتوزيع ،ط1 ،2017،ص 98.

2 – المصدر نفسه، ص44.

3 – كلير كرامش: اللغة والثقافة، تر: أحمد الشيمي، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط1، 2010، ص16.

كذلك حاول محمد عيسى المؤدب أن يربط ثقافة الحاضر العربي بماضيها وهذا ما أكده قائلا: " **ليلتها كان خليل أيضا شبيها بعنترة بن شداد... كنا نعرف عنترة ولا نفقه شيئا عن قصة حبه لعبلة، معلمتنا بالمدرسة تذكر فقط اسمهوتقول لنا إنه فارس الفرسان....**"[1].

فالشخصيتان متقاربتان إلى حد بعيد فخليل دافع عن حبه وأرضه ضد الإيطاليين، في حين عنترة دافع عن قبيلته ضد العدوان من القبائل الأخرى إضافة إلى دفاعه عن حبه لعبلة.

إضافة إلى الاحتكاك بالغير واكتساب اللغة التي تعتبر وسيلة تواصلية بين مختلف الشعوب، والعنصر الأساسي في أي ثقافة، فوظيفتها تواصلية تلقن الثقافة عن طريقها، فإذا أردت أن تتعرف على ثقافة شعب يجب أن تتواصل معه عن طريق اللغة فشخصية نضال فتح الله تعلم اللغة الإيطالية عن طريق التعامل مع أهلها أصبح التواصل سهلا عنده، وهذا ما أكده الكاتب في قوله: " **البحر وحده هو من علمني اللغة الإيطالية**"[2]، أي تعلمها عن طريق عمله وتجارته التي مارسها بقاربه مع عبد الرحمان.

يصف لنا الكاتب محمد عيسى المؤدب رحلة نضال فتح الله الأولى إلى إيطاليا والتقائه مع السيد جورجيوجياكينيري الذي ألح على مرافقته إلى البيت الذي كان ذا طابع هندسي رفيع، يدل على ثقافة واسعة لأهله وهذا ما جاء على لسان نضال فتح الله وهذا ما أكده الكاتب قائلا:" **... من الواضح أن الفيلا بنيت بأحجار سميكة مستخرجة بشكل هندسي جذاب من الصخور البركانية السقف اتخذ شكل قبة تسمح بعزل طبيعي**

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص 44– 45.

2 – المصدر نفسه، ص 39.

للبرودة والحرارة..."[1]، إضافة إلى الأمور التي علق فيها نضال فتح الله عن ثقافة الغرب اندهاشه من الموسيقى الغربية الصاخبة التي تغسل الأذن، ثم ينتقد بعدها الموسيقى العربية الركيكة وهذا ما جاء في قول الكاتب :" ...**استمعت أيضا إلى الموسيقى مدهشة غسلت أذني من أغانينا الركيكة...**"[2]، وفي هذا النموذج إشارة على تدهور الجانب الثقافي التونسي والعربي على حد سواء في محاولتنا منه إلى المقاربة بين الثقافتين العربية والغربية.

أخيرا يمكن القول أن اللغة هي التصاق وجداني بالذات البشرية بوعي وبدون وعي، فاللغة هي المكان الأول الذي يتحرك فيه الإنسان، لأن الواقع المترجم لهويته أو كينونته، ورمز قوميته، واللغة ليست حرب اللكمات بل بوتقة الحضارة والتاريخ والتراث للشعوب والأمم الحية، ولا يأتي أي تطور ثقافي إلا بواسطة اللغة التي تعتبر أساس تفكير أفراد المجتمع، لأنها سلوك إنساني منوط بوظيفتها الأساسية التي تعتبر نشاطا ثقافيا.

6. المرويات الشعبية في رواية جهاد ناعم:

إن المرويات الشعبية أحد مصادر الموروثات الثقافية، إذ تعد أيضا من مزايا الشعب والمجتمع وهي مصدرا موثوقا به سواء في التربية والأخلاق أو في أخذ الحيطة والحذر والاستفادة من التجارب في الحياة، لأنها تحتوي على الفنون وآداب تجعل من أفراد المجتمع ينشطون في شتى المجالات وأمور حياتهم اليومية، ومن بين هذه المرويات نجد:

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 41.

2 – المصدر نفسه، ص 41.

1-1-الأغاني الشعبية:

تعتبر الأغاني الشعبية ركنا من أركان ثقافتنا وصفحة تعكس جانبا من عاداتنا وتقاليدنا فهي لسان الشعب تحكي عن همومه وأفراحه فهي سفيره الأول إلى العالم، أو الدوام الذي يربط الماضي بالحاضر الذي أكسب الأغنية الشعبية مرونة عن طريق الرواية الشفهية.

فالكاتب مزجفي روايته بين اللغتين الفصحى والعامية، وهي مقطوعات من أغاني شباب يرددها الشباب قصد الترفيه عن النفس وكسر الملل والفراغ الذي يعيشه الكثير منهم وفي ذلك يقول الكاتب:

" إلياس الجزائري شع من وجهه نور غطى تلك البلاهة التي كانت سائدة ارتفعت معنوياته لا شك بعد حادثة بيت الاستحمام وغنى كالمجنون:

جيب ورقة ماصة زيقزاق

ولا بوب مارلي لولاد

كاينة بسطة كيما نابولي في ليطالي

جيب ورقة ماصة زيقزاق

لا بوب مارلي لولاد

تنحنح وجذب نفسين من الأعماق ثم استأنف

باش ينسى فكروا خليه يكن في عقلوا

حتى الدنيا تضحكلوا

قارو وراق أرو حتى عينيه يحماروا

ويحس في عروقوا طاروا.... [1].

بين لنا الكاتب من خلال توظيفه للأغاني الشعبية علاقة التقارب الثقافي بين دول المغرب العربي الذي تجمعهم عادات وتقاليد، فهي تستوعب قطاعات كبيرة من الناس ولدى مختلف الشعوب، تطرح ضمن موضوعاتها هموم الناس وطموحاتهم وتحركاتهم لتحقيق أفضل شروط الحياة الخالية من القهر والاستلاب ولذلك فهي لم تتشأمن أجل المطالب الاستماعية أو لتضيع الوقت وملأ الفراغ، إنما جاءت كضرورة اجتماعية أسهمت بإيجاد علاقات العمل والإنتاج والحاجة الروحية والنفسية للإنسان، وهذا ما وضحه في قوله: " **ما أدهشني في هذا الخليط العجيب من الشعوب هو الانسجام والتجاوب والصمت ...**"[2].

ويضيف الكاتب موضحا ما جاء على لسان الصادق الجزائري قائلا: "**يقول نضال يأتيني أو يصلني الصوت ثقيلا مهموما ومخربا بصفير الرياح.....**

بابور زمر خاشش للبحر

قدا أرض برة

لسماء الصافية عاطي بالظهر

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 31–32.

2 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 30.

يحمل الشباب من أرض خضرة

لحياة مرة، لحياة مرة ما يحمل الوادي وقت لمطر

عطوف الشجر

بابور زمر

هجم الوطن في مثيل سيف يشق الموج....

قص الجبن على البحر لزرق...

... جواز سفر... [1] .

يبن لنا محمد عيسى المؤدب هنا التقارب الثقافي الذي بدا واضحا بين الجارتين الجزائر وتونس، فهو لم يترك باب في الأبعاد الثقافية إلا وفتحه على مصرعيه وذلك من خلال الموروث الثقافي الذي تتقاطع فيه الثقافات العربية، وهذا الخليط من الثقافات العربية في الأصل هو ثقافة واحدة ولكن فرقتها الحدود الجغرافية، وهناك ثقافات دخيلة عن المجتمع التونسي والعربي وافدة عن طريق الهجرة، أو من مخلفات الاستعمار.

وتظل الأغنية الشعبية رفيقة حياة الإنسان في بيته وحقله ...إلخ فهي جزأ لا يتجزأ من الثقافة العربية، صورت بذلك روح الشعب الذي ينتمي إليه الإنسان الأول، وصارت مع الزمن تمثل إرثا وطنيا، وباقة لتقاليد طوت الأيام منها على أشياء، وأبقت على أشياء بحيث أصبحت لوحة من لوحات تاريخ الشعب ومراحل تطوره، فهي أسلوب

1 – المصدر نفسه ،ص 60– 65.

تحليلي يساعد على فهم عادات وتقاليد المجتمع واعتقاداته وما يسوده من تنوع في أنماطها وتجسيداتها وتغيراتها.

فضلت الأغنية عبر العصور تعطي ظلالا واضحة ترسم فيها الشخصية قائلها، فهي ثروة قيمة كبرى لما توافرت فيها من خصائص تعبر أصدق عن روح الشعب العربي، وكثيرا ما انبعثت من الأغاني الشعبية نوازع ونجوى الوجود.

1-2- الشعر الشعبي:

يعتبر الشعر أحد مجالات علم الأدب والكلمة، وأحد أهم الأساليب التي يُعبر من خلالها الإنسان المثقف أو الموهوب عما يدور في داخله، حيث يعتبر الشعر الشعبي شعر العامة وهو ذلك الشعر الذي يستمد ألفاظه، وطريقة أدائه ومعانيه، وأسلوبه من الحياة العامية أو الشعبية حيث يكتب بكلمات من اللهجة المحكية بين الناس، ولا يستخدم الفصحى لكنه يختار أجمل التوصيفات التي يقولها الناس في كلامهم ولهجتهم المحكية، وفي ذلك قد وظف الكاتب محمد عيسى المؤدب الشعر الشعبي في روايته وفي ذلك نورد قائلا:

أسرد لها حكاية جازية الهلالية مع الشريف وهما يلعبان الشطرنج...

تقول جازية: هيا انصب فرسانك، وهذي فرساني، إما يرتفع شأنك وإلا يرتفع شأني وهي تتحدى زوجها، هذا دليل على دهائها وفطنتها.

ويقول الشريف: هذا البيدق يبدأ الهجوم

جندي ضعيف ألعب يا شريف

الفرس يظهر، والفرز ينظر

وهذا الفيل للعراك شمر

هذه خطيرة عليك يا جازية، الحركة الرابعة ما يبقى ما يحميك

مالك ومالي، وما تشغل بحالي، شاهك مكشوف، وفرزك مخطوف

يقول:

غلبتك والله غلبتك جنودك راحت قتيلة

لا انتفعت بمقدرتك ولا صبت للغلب حيلة"[1].

ومن القصص التي تعتبر إرث تاريخيا ما جاء به الكاتب عن قصة الجازية الهلالية وحكاية في شكل شعر شعبي وظفها الكاتب حتى يبين شهامة المرأة العربية في القديم، فهي امرأة صنعت تاريخ الرجال تبقى رغم ضراوة الحاضر وشراسته، أحضان الماضي دفئا خالص وملحا وعلما، ومرشدا لمستقبل أكثر تفاؤلا والأميرة جازية الهلالية واحدة من تلك الإشارات التي لن يخفق ضوؤها مهما مر عليها الزمن فهي تجربة المرأة، ولدت في مجتمع قبلي استطاعت أن تحصل على ثلث مشورة قومها وتساهم بفعالية في صنع القرار هي تلك المرأة التي ضحت بنفسها من أجل عشيرتها.

وفي موضع أخر يقول:

جيفارا مات

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص30.

جيفارا مات

أخر خبر ف الراديوهات

وف النايس

والجوامع

وف الحواري والشوارع

وع القهاوي وع البارات

جفارا مات جفارا مات

واتمد حبل الدردشة والتعليقات

مات المناضل المثال

يا ميت خسارة ع الرجال ....[1].

يبين لنا الكاتب هنا الأشعار الموروثة عن "الشيخ إمام" وهو مغني مصري شعبي، جفارا مات يعتبر شخصية عالمية ورمز من رموز الحرية، وشارة عالمية ضمن الثقافة الشعبية، وهو ماركسي كان ينادي بوحدة أمريكا الجنوبية، يضاهي في ذلك الإمبريالية، وهو شخصية دافعت عن حقوق المضطهدين، فهو شخصية نضالية ضلت لسنوات طويلة في الذاكرة الشعبية خاصة العربية فكلما لأم بالشعب نكبة تذكروا رمز

1 – المصدر نفسه، ص55.

الحرية، فرفعوا صور لجيفار في مظاهراتهم ضد الظلم حكامهم وهو ما فعله التونسيون ضد حكم "زين العابدين بن علي" من رفعا لشعارات الحرية أثناء الربيع العربي.

1- 3-الحكاية الشعبية:

الحكاية الشعبية تعد جزأ من موروثنا الشعبي، وخلاصة إفرازات لتفاعلات الناس مع ظروف الحياة التي عاشها الإنسان، حيث كانت هذه الحكايات، إحدى الدعائم المهمة في صقل شخصية الطفل، فقد كانت كل قصة تهدف إلى قيمة يتم غرسها في نفوس الأبناء أو نفوس مستمعيها، ليصوروا رجالا قادرين على تحمل المسؤولية ومجابهة ظروف الحياة المتغيرة، والحكاية الشعبية هي تلك التي تناقلها الناس عن طريق الرواية الشفوية منذ القدم، ويؤثر الخيال الشعبي تأثيرا كبيرا في صياغتها وفي تطاير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات، بالمبالغة والغرائبية، فهي تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية، فهي إنتاج فكري، أنتجته الشعوب عبر تاريخها الطويل، وأودعت به أروع قصصها، وجل ما مرّ به من أحداث وحكايات فجاءت لتعكس خلاصة تجاربها، وتعطي صورة نابضة حية، عن واقع الأمة عبر مراحل تاريخها الطويل.

نجد هناك الكثير من المظاهر الثقافية التي تنوعت مشاربها، ويعتبر الفن الحكائي الشعبي خاصة عند كبار السن الذين يقصون هذه الحكاية قصد الإمتاع والتسلية والترفيه عن النفس، وإيصال بعض الرسائل التربوية وتعليمية والنفسية واجتماعية للصغار، إذ تؤدي دورا هاما في تأمين خبرات حياتهم المختلفة مصاغة في بناء قصصي محكم زاخر بالعبر والقيم أضفوا عليها الكثير من الخيال والسحر والجاذبية، فهي تدخل من باب الأسطورة والخرافة التي تنسج أحداثها من الواقع الحقيقي، وقد تكون من نسج

الخيال، وهذا الفن يمتاز أحيانا بالقصر وأخرى بالطور مثلما جاء في قصة والد "نضال" الذي يسرد فيها أحداث وقعت مع البطل "خليل" جاءت هذه القصة منثورة داخل الرواية، فلم تكن أحداثها مرتبة بل على أجزاء، وفي ذلك يقول الكاتب محمد عيسى المؤدب:

"**رحلتنا إلى بانتالارياكانت عادية لم تشهد مفاجآت لافتة ... وضعت البوصلة أمامي وحددت الاتجاه 190 درجة ... نحو الجبل الشاهق بدا كالأشباح المعلقة في السماء... حدثنا أبي عن ذلك الرجل العجيب، روى لنا ما يشبه الخيال في شجاعته وبسالته حتى خلناه طرزان... كنا عشرة عيون فاغرة... تبحلق أمامه وتندهش وتطلب منه تفاصيل أكثر ... تعده عيوننا أيضا** بالنهوض **باكرا وغسل الأفواه بالفرشاة ... خليل كان صيادا لا كالصيادين، رايس لا ينافسه في الرياسة أحد... أحس بالملل في معاشرة الناس ولعن اليوم الذي صار فيه بحارا... قاطع الخلق زمننا ثم استفاق ذات فجر اتجه نحو الشاطئ وغاب مع قاربه... قالوا في إثره لقد هج من القرية وهاجر... قالوا : إنه غرق مع مركبه فمات ... هكذا يروون ... عن خليل ظل كامنا وراء الأشجار فجأة ... هجم عليهم الخليل بقشبية سوداء مثل الشبح اجتاحهم من غصون الأشجار... ظل الخليل يزأر كالأسد ويصيح فيهم مزلزلا ويطردهم من الجزيرة...**"[1].

ويضيف الكاتب عن حكاية غول الجامور خليل وهي حكاية عن الجد والد "نضال" الذي رواها لهم في سهراتهم الليلة كما عودهم كل ليلة فيحدثهم قائلا:

1 –محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم،ص، 42– 45.

" قدمت سيدة إليانور والدة جوليا ... المرأة المالطية في زمن عجيب... قدمت صحبة أربع رجال، حتما لم يكونوا من البشر، قاماتهم فاقت قامت الأشجار ووجوههم شبيهة بوجوه البغال وهي تشبه حيوانا مسعورا عاش في قديم الزمان في الجزيرة ... كان يلتهم الأشجار..."[1].

تنسج الحكاية الشعبية حول مصير الإنسان كما وضحها محمد عيسى المؤدب في النموذج، الذي رواه الجد على أبناءه حول حكاية البطل خليل الذي شبهه بطرزان وحكاية غول الجامور، حكاية شعبية لديهم، وهي حكاية يتناقلها الناس عبر قرون، وإلى ما لا نهاية، دون انقطاع بألف لغة ولغة، في ظروف الحياة المتنوعة والمتغيرة إلى حد أقصى، فهي جزء من معتقدات الشعوب، وثقافتهم وعاداتهم ابتدعها الخيال الشعبي للتعبير عن حكمته وتجربته في تصوير أحداث الحياة، وأساليب المعيشة.

تعد من أهم مصادر التراث الشعبي، والتاريخ الشفهي بما يرد فيها من أحداث تلاشى تاريخها بسبب التحريف والتشويق والمبالغة وبقية القيم والمعطيات الثقافية المعرفية التي تضمنتها، وهي معطيات تاريخية، واجتماعية متعددة ومركبة، ومن خلالها يمكن معرفة الظروف الاجتماعية وحياة الناس، فهي أداة جيدة لغرس القيم الثقافية المناسبة وترسيخها وتأصيل العلاقات الاجتماعية الإيجابية والمحافظة على الموروث الجماعي، فهي تاريخ شفهي للجماعات.

2-العادات والتقاليد:

1 - المصدر نفسه ، ص127.

في حياتنا الكثير من الأمور التي اعتدنا على وجودها بشكل أو بآخر، رغم أنّ هذا الوجود كان غير مبرر في الكثير من الأحوال، ولو نظرنا حولنا جيدا لوجدنا أن هناك بعض الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها، على الرغم من أنّها أصبحت من القدم، وما عاد لها أي جذر في حياتنا اليومية على وجه الخصوص، رغم قدم هذه الأمور وغرابتها في أكثر إلا أننا اعتدناها، حتى أصبحت جزء لا يتجزأ من حياتنا على الإطلاق، والناظر في التاريخ يجد أن الحديث عن هذه الأمور دون غيرها قد جعلها محور اهتمام بشكل أو بآخر، والحديث اليوم لا يقتصر عن مجموعة من الأمور التي مازلنا معها ونستذكرها ولكن سنتحدث عن عادات وتقاليد وطن عريق، ففي كل منطقة تتجلى بعض العادات والتقاليد التي لا يمكن لأهلها الاستغناء عنها أو يحيد عن دربها، فهي من مستهل الأمور التي نشأنا وترعرعنا عليها وكانت الأصلوالأساس في التكوين العقلي والنفسي لنا في هذه المجتمعات المنغلقة.

ونجد أن أكثر الناس تعلقا بالعادات والتقاليد هم كبار السن مع أنهم على بينة أن هذا هو الأساس للتربية الحديثة، فهي تشكل مجموعة طويلة من حصيلة التجارب في حياة الناس التي تتميز بكونها ممتلئة بالأحداثوتستمر هذه العادات والتقاليد بالانتقال من بين الأجيال على مر العصور، بالتالي فهي تمثل شكل حياة الإنسان في مختلف الأوجه الاجتماعية.

نجد أن محمد عيسى المؤدب ذكر بعض العادات والتقاليد الموروثة عن الأجداد وفي ذلك نورد بعض العادات والتقاليد المتمثلة في :

2 -1 - الحضرة:

هي عادات وتقاليد أو طقوس قديمة يقوم بها الناس من أجل الحصول على أمر ما، أعطى الكاتب "محمد عيسى المؤدب" في روايته مثالا عن ذلك في حديثه عن الأيام التي تحبس السماء مائها عن الأرض، حينها يلجأ أصحاب الأرض إلى إقامة ما يسمى بالحضرة قصد نزول الغيث، هذا ما ورد في المقطع التالي قائلا:

" **في الأيام التي لا تنزل فيها الأمطار وبعد أنّ ييأس رجال القرية الصالحون من صلاة الاستسقاء، يصلونها ثلاث مرات ولا تنزل قطرة من السماء، بعد أنّ ييأسوا صنعوا عروسا من الثياب البالية ثم نركض بها في الطرقات ونردد ... أمك طمبو يا لولاد، صبوا عليها سطيل ماء فتنسكب المياه على رؤوسنا من الأبواب والنوافذ... وتردد النساء: قادرة يا المهبولة إنّ شاء الله تروح مبلولة وقادرة يا دايمة إن شاء الله تروح عايمة... بعض الشيوخ الطيبين فقط يمنحوننا الحلوى والخروب وتدعونا خالتنا حبيبة، زوجة الإمام إلى تناول الكسكسى، تنثر عليه قطع الحلوى والزبيب بوجهها الضاحك... ونغمس نحن في الصينية بأيدينا ورؤوسنا ثم نعود إلى بيوتنا مبللين بأمك طمبووبالمطر** [1].

صور لنا الكاتب محمد عيسى المؤدب من خلال هذا النموذج طقوس استنزال المطر، فهم يصنعون من خلال مغرفة خشبية عروسا يتم تزينها لتصبح كدمية، من خلال إلباسها الأثواب المزركشة، فيتم الطواف بها من طرف النساء والأطفال مع ترديد أدعية وأذكار، في القدم يتم ترديد أدعية يطلب الناس من خلالها أن تمدهم بالمطر وأن تسقى حقولهم وبهائمهم، يطوف الأهل بالعروس المسماة بعروس المطر عبر الشوارع الأزقة وودروبها، فيقفون عند الأضرحة والمزارات، ويقوم الناس برش الدمية الخشبية

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 67.

بالماء على سطوحالمنازل، كما يتم تقديم بعض العطايا أثناء تلك الجولة الجماعية من هبات دقيق، زيت، شاي وغير ذلك من مئونة، حيث يتم استغلال تلك المئونة في تنظيم وليمة قرب النهر أو ساقية أو في مرتفع ما.

فتظل هذه الحضرة من الأمور التي تعود أهلها على القيام بها في المجتمع لما لها من أهمية عظيمة في حياتهم، فهي من العادات والتقاليد التي جُبلوا عليها منذ الصغر، فهم يرون أن من المهم التمسك بمثل هذه الأشياء وعدم الاستغناء عنها مهما كلف الأمر، من خلالها يمكن أن نفرق بين الأشخاص حسب الانتماء أو المكان الذي أتوا منه فهي جعلت لهم وطن خاص بهم هذا ما جعلهم لا يستغنون عنها فهي بالنسبة لهم أيضا تاريخ عظيم يحدثون به أبناءهم عند الكبر.

2-2- طقوس السفر:

يتميز كل شعب على وجه الأرض بمجموعة من العادات والتقاليد التي تميزه عن غيره من الشعوب، والشعب التونسي لديه الكثير من العادات والتقاليد التي ينفرد ببعضها عن شعوب العالم، بينما يشترك ببعضها الآخر مع الشعوب المجاورة، كما أن هناك عادات تختص بمناسبات معينة لا يتم تنفيذها إلا فيها من بينها طقوس السفر، التي تحدثها عنها الكاتب محمد عيسى المؤدب في روايته قائلا :

" **قبل أن أغادر المنزل متجها إلى كاف غراب انفردت بي آسيا في بيت النّوم، نثرت الملح على رأسي وتهجت أدعيتها الركيكة ثم تثاءبت ... ظلت تردد وعيناها متنمرتان: ذاك حصني لا تتلاعب بذيلك مع نساء آخر الزمان... جرت العادة خلال تلك الشعائر أن لا أنهض من بين يديها إلا قتيلا ... المرأة، تنسى كل شيء ولا تنسى مراقبة**

زوجها فوق السرير قبل السفر وبعده"[1]،سرد الكاتب في هذا النموذج العادات التي تميز بها التونسيون المتمثلة في رش الملح على رأس المسافر قبل سفره وهذا ما فعلته زوجة نضال قبل سفر زوجها إذ هي عادات توارثت من القديم فهي تتحدد هوية المجتمع، وتعطيه تلك الصبغة الخاصة التي يصطبغ بها إذ لا يمكن ولا بأي حال من الأحوال تجاوزها أو تجاهلها.

إضافة إلى أبعاد ثقافية أخرى التي جاءت في الرواية نذكر منها قصر النوبة الذي يعتبر أول موروث ثقافي جاء في الرواية، وهو المحطة الأولى التي انطلقت منها أحداث الرواية وهذا ما يوضحه المقطع التالي: " **ويعتبر وجهة البحر والبوابة الأولى لتونس سميت المدينة باسمه واتخذها عمال بنى أمية عاصمة لهذا الإقليم حيث أنزلوها المكانة المرموقة...**"[2].

3-الإستشراق:

إن الاستشراق يشكل الجذور الحقيقية التي كانت ولا تزال تقدم المدد للتنصير والاستعمار، وتغذي عملية الصراع الفكري في بلاد المستعمرة، وتشكل المناخ الملائم من أجل فرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي وإخضاع شعوبه لسيطرتها، فهو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المستعمرين بالمواد يسّوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته، وهدم عالم أفكاره، وقد جاء هذا الغزو الثقافي ثمرة لإخفاق الغزو العسكري وسقوطه، ولتربية جيل ما بعد الاستعمار، ولقد تطورت الوسائل وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة، فهو حركة غربية تركز على استكشاف الثقافة الشرقية

1 - محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 35.

2 - المصدر نفسه ، ص13.

ودراستها عن كثب، وتوضيح النظرة الغربية لهذه الثقافة الشرقية، حيث يدل على مدى تصوير الغرب للبنية التحتية للحضارة الشرقية، من هنا سوف نعرج على مفهوم مختصر لمصطلح الإستشراق لغة واصطلاحا.

7. لغة: من المعلوم أن لفظة استشراق التي نبحث عن مفهومها "**لم ترد في المعاجم العربية المختلفة**"[1]، ونحن هنا نقصد المعاجم العربية التراثية القديمة في معظمها جاء في لسان العرب لابن منظور: شرق: شرقت الشمس تشرق، شروقا وشرقا: طلعت، واسم الموضع المشرق، والشرق: المشرق والجمع أشراق.

والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق: وشرقوا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا من الشرق[2].

مما يمكن ملاحظته في هذا التعريف اللغوي الذي جاء في المعاجم العربية القديمة أنها خلت من اللفظة المراد البحث عنها (الاستشراق) فهي غير معروفة آنذاك وأقرب لفظة للمعنى المراد هي كلمة استعراب ومستعرب والتي تعني دخول غير العرب في لغة العرب وآثارهم وتقاليدهم وتمكنهم منها تمكنا متفاوتا[3].

8. اصطلاحا:

إن البحث عن تعريف محدد للاستشراق سيجد نفسه أمام سيل من التعريفات التي دبجت حوله والتي لا تنتهي،" **ومن أجل هذا فإن إعطاء تعريف للاستشراق هو**

1 – أحمد اسمايلو فيتش: فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي، (د/ط)،1998، ص21.

2 – ابن منظور: لسان العرب، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، باب حرف القاف، مادة 'شرق'.

3 – مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، مادة شرق.

ضرب من المحال، وكل تعريف نجهد أنفسنا لإعطائه لا يكون شاملا مانعا"[1]، ورغم اقتناعنا بهذه الفكرة، إلا أن هذا لا يمنعنا من سوق بعض التعريفات التي قد تكون توضح أكثر ماهية الاستشراق، وفي ذلك نورد بعض التعريفات من بينها:

لقد عرف علماء العرب أو الشرق الاستشراق بأنه:" **دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه، وعلومه وعاداته، ومعتقداتهوأساطيره**"[2]، وجاء في تعريف آخر بأنه" **الدراسة المتقصية المتنوعة متعددة الأغراضالتي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكل منحى من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة سواء كانت لأهداف دينية، عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية** "[3].

وما يمكن ملاحظته من خلال هذه التعريفات أن الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة معبرا عن الخلفية الفكرية لصراع الحضاري.

3-1 تهريب الآثار:

1 – ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002، ص17.

2 – أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، ط4، 1997م، ص378.

3 – ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي ، ص20-21.

إن ظاهرة تهريب الآثار ليست حديثة النشأة بل ظهرت منذ الأزل البعيد، أي بظهور التجارة بصفة خاصة والاقتصاد بصفة عامة، حيث لم تجد من يردعها في بدايتها، أخذت تتطور بتطور التكنولوجي الذي يعرفه العالم وتتأقلم مع جميع الظروف الاقتصادية لكل دولة، فالهدف منه هو تحقيق أكبر ربح ممكن والعمل على تحطيم اقتصاد وهوية البلاد.

ولقد تحدث "محمد عيسى المؤدب" في روايته على قضية تهريب الآثار والتحف التي هي منبع الحضارات وتاريخ الشعوب، وهي تعتبر كنزا ثمينا وشاهدا يدل على تعاقب الحضارات على البلدان العربية " **هذا الموروث يرقى إلى مستوى القداسة استثمر بطريقة سلبية مدروسة ضمن أجندة خارجية تستهدف ماضينا وحاضرنا** "[1] ، هذه التحف الأثرية التي في أغلبها إسلامية صودرت عن طريق أيادي خارجية وداخلية محاولة منهم لطمس الهوية، لأن من لا ماض له لا حاضر له ولا مستقبل، ويصف لنا الكاتب بعض التماثيل وتحف الأثرية المهربة إلى إيطاليا على لسان نضال فيقول:

" **لم أستطع فعلا أن أدقق في تفاصيل التحف والتماثيل التي أدهشتني، قناديل برونزية وتماثيل وتحف من مختلف الأحجام شدني تمثال امرأة مقيدة ... عاينت أيضا مقبضا في شكل خنزير وأباريق ومجسما لطائر الساف وتابوت يحمل في واجهته صورة طائر وكتابة بخط عربي ولوحات فنية مرصعة بالبلور الخالص...**"[2].

1 – نعيمة الحمامي: قراءة في رواية جهاد ناعم للكاتب التونسي محمد عيسى المؤدب، مقال منشور على الموقع: www.almothaqaf.com

2 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 114.

لم يتوقع نضال فتح الله أنه وقع في شيباك تجار الآثار، لأن هذه المنظمة كانت تراقبه طوال الرحلة بمساعدة من صديقه "قيس" هو الآخر كان من مهربي الآثار، الذي حصل بعد ذلك هو زوج نضال من أريانا ذات الأصول التونسية، وهي من تدير عملية التهريب من تونس وليبيا نحو إيطاليا، وكان زواجهما لمصلحة "نضال" كونه يعرف أماكن تواجد الآثار في تونس واستغلاله لتنقيب عنها، وتحقيق ما كان يصبو إليه، وهذا ما أكده الكاتب "محمد عيسى المؤدب" في قوله" **طيب يا نضال، دعنا نتفادى إضاعة الوقت، لابد أن تشرع في الشغل، طبعا أنت تدرك أنك أصبحت موظفا في مؤسسة السيد كاراس ... طبعا أنتم حددتم أهدافكم، اخترتم طبعا الشغل الذي يناسبني، أجل يا عزيزي، أدرك أنك فطن، مبدئيا لنا مشاريع جديدة في تونس، بعد جمع المعطيات والخرائط سنمر الآن إلى تنفيذ...** "[1].

كانت الواجهة التي سيقصدها نضال رفقة أريانا هي تونس وبالتحديد المنطقة التي يقطنها، فمن البيانات والمعلومات التي أدلى بها قيس إلى الجماعة، اتضح أن نضال يعرف جيدا أماكن تواجد الآثار لذلك اختارته الجماعة في هذه المهمة، وهذا ما أكده الكاتب محمد عيسى المؤدب قائلا:" **ستوفر لي المعلومات الخاصة بصاحب الجبل، أقصد طبعا الرجل الذي جاء إلى منطقتكم من وادي الذهب** "[2].

الرجل الذي تحدث عنه في الرواية و عن شجاعته هو "أمحمد بن مبارك"، وهو نفسه الذي دفن الكنوز في المنطقة التي عاش بها نضال فتح الله وهو يعرف عنه الكثير من القصص وعن الكنوز المدفونة، هذه القصص كانت رواية عن أبيه يقول: " **أما**

1 – المصدر نفسه ، ص137.

2 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم،ص137.

عائشة بعد موت زوجها جعلت ليلها ونهارها للتزهد والعبادة، لم تشأ لما حانت ساعتها، وقد أخبرها زوجها أمحمد بن مبارك بالأماكن التي دفن فيها الكنوز..."[1]، ما أدهش نضاله تلك القطعة الأثرية داخل القبو تحت الأرض أضعاف ما شاهده في بيت أريانا، أنه المخزن فيه القطع الأثرية التي لا تهرب من البلدان العربية سوريا، ليبيا، وحتى اليمن ثم تصدر إلى جهات مجهولة.

عاد نضال مع أريانا إلى تونس بحثا عن الكنز عند وصولهم إلى المكان الذي حددوه وهذا ما أكده محمد عيسى المؤدب في قوله" **فتحت أريانا الحقيبة، تناولت الخريطة وفانوسا كهربائيا صغيرا، اتبعني قالت ثم سارت باتجاه المنخفض... فتحت أريانا الحقيبة من جديد، تناولت معولا وآلة استكشاف، أشعلت تلك الآلة وأرسلت إشارة خافتة ظلت تتماوج، تخبو ثم تضخم حتى اشتغلت العين الحمراء وتتابعت الرنات...**"[2]، بعد كل هذا الجهد وجدوا الكنز الذي بحثوا عنه، وهو عبارة عن سلاسل وخواتم من ذهب خالص وأقراط... وغيرها من التحف والآثار التي تحكي تاريخ الأمة العربية الإسلامية، هكذا يهرب الموروث الثقافي ويباع بأرخص الأثمان، هذه الأموال التي دُمرت بها البلدان العربية تحت مسميات عديدة، وهناك استهدفت حضارتها من الغرب قصد الاستيلاء على أغلى ما تملك، وهو الإرث الثقافي الذيدُمر بكامله، مدن أثريةتحكيثقافة شعوب تعاقبت عليهااجيال، ودمرت عن بكرة أبيها.

وفي الأخير أقول أنه من الواضح أن قيمة الآثار وأهميتها ترمز بوجود كيان هذا الإنسان وحضوره الثقافي، والذي يؤكد من أهميتها أن ضياع أي أثر من هذه الآثار

1 – المصدر نفسه، ص 144.

2 – المصدر نفسه ، ص 173.

يشكل في ذلك خسارة عظيمة لا تعوضه الماديات أو المعنويات لإعادة الهوية لهذا البلد القديم، حيث ينتج عن هذا أضرار كثيرة ومتعددة على المستوى الثقافي، وحتى على المستوى الاجتماعي لأن سلامتها من الضياع والسرقة، هو شيء مهم باعتبارها أهم مكونات الهوية الوطنية، لهذا نجدها من أكثر الجرائم وقوعا وانتشارا وأشدها خطورة، فضررها يقع مباشرة على رأس تاريخ التراث الوطني لأي دولة ذات حضارة عريقة.

❖ **البعد الديني في رواية جهاد ناعم:**

1- مفهوم البعد الديني:

يقصد بالبعد الديني في الرواية هو انتماؤها أو عقيدتها الدنيوية، ومالها من تأثير في سلوك الراوي ورؤيته، وتحديد وعي شخوصها ومواقفها من القضايا الدينية.

إن هذا الإسلام العظيم الذي ننتمي إليه بني أعظم حضارة شهد لها التاريخ قائمة على التوحيد والعدل والمساواة والتسامح وحرية الرأي والفكر والتعبير، كما أنه يرفض الظلم والعدوان ويقاوم من أجل تحرير الشعوب من العبودية لغير الله وتخليصها من التبعية المطلقة لشهواتها، هذا الإسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهذه الأمة ميزها الله في عقيدتها وتشريعاتها وأخلاقها وسلوكها حتى أصبحت أفضل الأمم، يقول تعالى :

﴿ۗ بِٱللَّهِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡمُنكَرِ عَنِ وَتَنۡهَوۡنَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ تَأۡمُرُونَ لِلنَّاسِ أُخۡرِجَتۡ أُمَّةٍ خَيۡرَ كُنتُمۡ﴾ .[سورة آل عمران، الآية 110]

وهناك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على سماحة الإسلام وأنه دين يحارب الإرهاب والتطرف، ويدعو إلى العلم والتقدم والرقي والتعاون بين الحضارات

وعمارة الأرض وإصلاحها وعدم الإفساد فيها كل من أجل تحقيق الرفاهية والسعادة للإنسان.

ويبدأ تصوير البعد الديني في الرواية من خلال الشخصيات، حيث بذل الكاتب جهدا كبيرا في ابراز البعد الديني، من خلال الشخصية الساردة، والمحركة للأحداث وهي شخصية البطل نضال، وذلك أن البطل من خلال مواقفه وأقواله وأطروحاته، يبرز المضمون من الرسالة التي يحملها العمل الروائي، ويبين الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها للمتلقين، وينطلق الكاتب من فكرة أن سبب كل هذه المشاكل الاجتماعية، يكمن في تخلي المسلمين عن جذورهم الإسلامية وجعل الدين وسيلة للمتاجرة به في سبيل أغراض شخصية.

2- الجهاد والإرهاب من منظور الدين:

2-1- مفهوم الجهاد:

الجهاد هو بذل العطاء للوصول إلي الهدف أو الغاية المرجوة، وجاء في الكتاب المعرب "الجهاد مصدر جاهدت العدو إذ قاتلتهم في تحمل الجهد أو بذل كل منكما جهده اي طاقته في دفع صاحبه"[1]، ثم غلب في الاسلام على قتل المسلم الكفار بغية تحقيق العدالة ونشرا للدين الاسلامي في بلاد الكفر والالحاد ونحوه، قال الراغب في مفردات القران "الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو"[2].

1 -كامل سلامة الدقس، الجهاد في سبيل الله، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، ط2 ،1988 ،ص9.

2-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالأصل في الجهاد دفع الأذى أو هو الدفاع عن النفس بالقوة أو بالمال وغيره من الامور المجازة شرعا قصد الحفاظ على كلية من الكليات الخمس وهو حفظ الدين وقد قسم العلماء الجهاد الي قسمين جهاد العدو وجهاد النفس عن الشهوات وكلاهما يحققان هدف التوحيد لله يقول الحق تبارك وتعالي:﴿ جِهَادِهِۦ حَقَّ ٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ ﴾[سورة الحج: الآية 78]

وقد فسر القرطبي هذه الآية في قوله "حق جهاده الامتثال لجميع أوامره والانتهاء علي كل ما نهي عنه وزجر"[1].

الملاحظ أن كلمة الجهاد هي كلمة شاملة وجامعة لكل ما يصب في معنى البذل والعطاء من اجتناب للمحرمات والامتثال لأوامر الله.

2-2- أنواع الجهاد:

قد جعل الله تعالي الجهاد ذروة سنام الاسلام، وذلك لأهميته في حماية الدين والمسلمين من اي مغتصب، فهو يشتمل جميع ميادين الحياة، لكن استغل في وقتنا بطريقة خاطئة دمرت من خلاله الدول المسلمة واصبح وسيلة للاقتتال بين المسلمين في المشارق الارض ومغاربها وذلك بصدور مجموعة من الفتاوي التي تحرص على الجهاد بالخروج على الحكام، وتكفير المجتمع ، وللجهاد أنواع منها:

1-أبو عبد الله بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط2 ، 1964، ص14.

جهاد النفس والهوى:هو أن تجاه نفسك على الشهوات والملذات قصد تحقيق مرضات الله تعالى، ورد في الأثر أن بعض الصحابة بعد عودتهم من الجهاد قالوا: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" [1] أي جهاد النفس والهوى.

جهاد النفس والهوى يشبه في حياتنا المدنّية التعليم الأساسي، أي بذل أقصى الجهد في ذات الله، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَطَعۡتُمۡ مَّا ٱللَّهَ فَٱتَّقُواْ﴾[سورة التغابن: الآية16].

- جهاد دعوي:

هو أن تدعو الناس الى طريق الله المستقيم،وذلك بالكلمة الطيبة وهو أن تنقل إنساناً من الضلال إلى الهدى، من الضياع إلى الرشد، من السعير إلى الجنة نقلة نوعية مهمة جداً ، لذلك قال تعالى:

﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِنَ إِنَّنِي وَقَالَ صَٰلِحٗا وَعَمِلَ ٱللَّهِ إِلَى دَعَآ مِّمَّن قَوۡلٗا أَحۡسَنُ وَمَنۡ﴾[سورة فصلت: الآية33].

- جهاد قتالي:

هو أن تدافع عن أرضك وعرضك بالسلاح، وهو كذلك صد أي عدوان على الامة من المعتدين والمغتصبين، وبذل أقصى جهد في خدمة الأمة،وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم :" ذروة سنام الإسلام الجهاد"[2].

3- الجهاد والإرهاب من منظور الدين في رواية جهاد ناعم:

3-1- جهاد السلاح:

1- محاضرات وندوات مصورة – الأردن – جامع التقوى – الحلقة 182، مقال منشور على الموقع:http://www.nabulsi.com

-محاضرات وندوات مصورة-الأردن- جامع التقوى - الحلقة 182 مقال منشور على الموقع: http://www.nabulsi.com.[2]

حلل "محمد عيسي" هذه القضية الشائكة من خلال روايته جهاد ناعم حتي يصف لنا حال المسلمين جراء تلك الفتاوي التي انتشرت هنا وهناك وكيف استغل الشباب في سوريا وتونس وليبيا لخدمة اطراف خارجية تحت لواء الدين الذي لا علاقة له بتلك الصراعات، شباب جند لتخريب الأوطان بدافع الفقر والتهميش والآفات الاجتماعية عنوان الرواية اكبر دليل علي أن المقصود من هذه الرواية هو محاولة المقارنة بين الجهاد الحقيقي والجهاد المزعوم الذي أنتج الارهاب والتطرف في بعض البلدان العربية وما تشهده المنطقة من تناحر وتقسيم للمنطقة العربية فالجهاد الحقيقي هو الذي يجلب السلم والامن والاستقرار .

في مشهد غريب تطل علينا شخصية قيس تلك الشخصية التي لا طالما ذكرها نضال فتح الله بازدواجيتها، شخصية كانت المروج الأساسي للمخدرات والحشيش "الزطلة" قبل السفر إلى إيطاليا، ثم ظهر بمظهر مهرب الأثار وسارق لتاريخ الشعوب العربية ها هو الأن يطل علينا بشخصية أخرى وهي شخصية ذلك الرجل المتدين الذي يفقه في كل شيء حتى في السياسة، يظهر بجلبابه الأفغاني ولحيته الطويلة التي تدل على الورع والتوبة من ماضي حقير، لحية يتستر بها الكثير لخدمة مصالحهم الشخصية وإيهاما للأبرياء، قيس أصبح الأن يدعو إلى الجهاد في سبيل الله ويظهر كشخصية دينية تنهى عن المنكر وتأمر بالمعروف، وهذا ما ذكره محمد عيسى المؤدب في المقطع التالي:" **لم أعرف ذلك الجربوع ،بدا وجهه كضلفة التين الشوكي، لحيته طويلة ومخبلة كأنها مهربة ... لم يكن متضلعا في الدين ولا في السياسة ... من الواضح أن قيس يحتاج الى تكوين وإلمام بشؤون الدين وعليه أن يتخلى عن لغة التهديد والوعيد ...**

عن أي جهاد يتحدث هذا المعتوه؟...لا تكن قاسيا إلى هذا الحد يا نضال، من حقه كرمز سياسي الأن أن يدعو إلى الجهاد في سوريا وليبيا"[1].

وهذا انتهاك صارخ للقيم والمبادئ الإسلامية وانتهاك ركن من أركان الدين الإسلامي وهو الجهاد الذي أصبح هاجس للدول الإسلامية، وأصبح خطرا عليها بعد استغلاله بطريقة مدمرة للشعوب سلاحه في ذلك موجه الى صدور الأبرياء والمستضعفين، وأصبح يتكلم فيه العام والخاص فقيس ينطبق عليه حديث الرويبضة للنبي صلي الله عليه وسلم الذي قال فيه :﴿سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة﴾ قيل: وما الرويبضة يا رسول الله ؟...قال:﴿الرجل التافه يتكلم في أمر العامة﴾[2]، وأي كلام يقوله قيس فهو يتكلم باسم الدين، وركن من أركانه القويم ألا وهو الجهاد في سبيل الله، متستر تحت عباءة الذل والخيانة للوطن والدين فهو يتكلم بما لا يعلم وهذا دليل على الانحطاط الفكري والاخلاقي في تونس خاصة وفي الوطن العربي عامة، وهذا ما جاء في المقطع التالي: "**ما الذي حدث في هذا العالم؟ ما الذي لوث الادمغة بهذا الشكل؟ قيس إلى هذا الحد؟ كأنه لم يطوف يوما في المزابل والقمامات شرقا وغربا ... يا اخواني في الدين، يا أخواتي العفيفات، الجهاد شرف المسلم وطريقه الأسلم الى الجنة ... يا إخواني هبوا الى الغنائم في الدنيا والأخرة وأجركم على الله، أما من عارض وناقش فهو الى جهنم وبئس المصير ... صوته**

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم،ص187

2-الحافظ أبي بكر محمد ابن عبد الله :كتاب الفوائد (الغيلانيات)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام ،ط1 ،1997، مج1 ، ص323-324.

أجش ونبرته متشنجة، وهو أمر طبيعي، الجاهل لا يمكن بالمرة أن يستغني عن عفنه وغبائه..."[1].

وضح لنا هذا المقطع الذي جاء على لسان نضال فتح الله كيف يتعدى الجهلة والفاسقون والمارقون من المجتمع على حرمت الدين، فهم يركبون الامواج لقضاء مصالحهم الشخصية تحت غطاء الدين والتدين .

في مشهد آخر نلاحظ استياء نضال من ازدواجية الشخصية عند قيس وكيف يتلاعب ويتلون لخدمة أجندة خارجية القصد،منها تدمير المجتمعات العربية، والترويج للفكر المتطرف، وهو ما جاء في المقطع التالي:

قلت وأنا أدلق الكأس في حلقي:

إنه زمن اللحي والقذارة والموت، اشرب، اشرب يا صديقي اللعنة على أغبياء هذا الزمن[2].

يقدم لنا بعد ذلك محمد عيسى كيف يحرض قيس ضعاف النفوس على الجهاد والقتال والتمرد على السلطة الحاكمة التي كانت تحكم قبضتها في تونس لأزيد من عقد من الزمن سلطه تكفر بالديمقراطية لا صوت يعلو فوق صوتها وهذا ما جاء في المقطع التالي: "...**الايمان والصبر يا إخواني، نحن نجاهد في سبيل الله ،انتبهوا ،علينا بالتجلد لمواجهة الطواغيت في المرحلة الاولى، سنبيدهم عن بكرة أبيهم في مرحلة لاحقة ...النصر يا أمة الاسلام آت لاريب فيه ،الإخوة في سيدي بوزيد والقصرين وصفاقس والكباريةوسيدي جسين والملاسين يجاهدون ويحرقون ساقي النظام وقريبا**

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص188.

2– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

سنحرق رأسه ..... تجلدوا واعتصموا بحبل الله جميعا ....اعلموا يا إخواني أن الرصاص مشرعة نحوالطواغيت"[1].

في اشارة من قيس للتخطيط لعمل إرهابي وتحريض لإسقاط نظام الحكم في تونس، وهذا ما نسميه ركوب للموج لخدمة أجندة خارجية وداخلية تحت طائلة الدين، لم يسلم الابرياء من الاستغلال باسم الدين حتي النساء جندن للجهاد في سوريا وليبيا وتونس وغيرها من البلدان العربية التي شهدت أحداث الربيع العربي ،فكانت ترسل النساء للجهاد هناك، فمعظم شخصيات الرواية الذين ذهبوا في الرحلة السرية إلى ايطاليا التقوا في نقطة واحدة هي التجنيد في صفوف المقاتلين فمنهم من وضع له حزام ناسف ومنهم من هجر الى سوريا وليبيا ومنهم من هو على أهبت الاستعداد للجهاد وهذا ما يوضحه المقطع التالي : "**علياء لماذا نصبت لها الفخ؟ ،هل ستتوب على يديك ؟، ملأت عينيها بالوهم ....يا أخت انت في حاجة ماسة الي هواء نظيف يقودك الى الجنة... بل من الضروري أن تتبعيني هذه المرة** "، ثم يردف نضال بقوله: "**جرجرتها وراءك كالبعوضة للجهاد طمرتها كما طمرت نوال في قبو مظلم لاستدراج الضحايا وتسفيرهم للجهاد في سوريا...**"[2].

يوضح "محمد عيسي المؤدب" كيف كان يستغل الشباب العاطل عن العمل والمهمش والفقير في عمليات ارهابية كان القصد منها تدمير البلدان الإسلامية، من جهة وبيع السلاح من جهة اخري مع التهريب لكل ممتلكات البلدان العربية من بترول وغاز وغيرها من ثروات طبيعية فهؤلاء الابرياء سقطوا في شباك مروجي الفكر المتطرف الذي

1- المصدر نفسه، ص200.

2- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 201.

يدعو إلي الارهاب وعدم تقبل الأخر وزرع الفتنة بين الإخوة قصد إضعاف الأمة الإسلامية وتشتيت وتقطيع أوصالها، فالجهاد الحقيقي بريء من هذا التطرف والغلو براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

ويوضح لنا المقطع التالي كيف يستغل الضعفاء في تنفيذ المخططات تحت لواء الاسلام والجهاد تحت مسمى العمل الانساني "**أنا لا أفهم بالضبط ماذا تعنين بالعمل الانساني هل حددتم أهدافكم؟ أريد تحديد الأهداف أولا أنت تدركين قيمة ذلك ... أجل أعرف ستكون إحاطتنا شاملة بالباحثين عن الشغل والمتشردين ... سندرس حالاتهم طبعا ... الأمر في غاية الغموض من المعقول أن تهدر مؤسسة وقتها ومالها من أجل البؤساء هذا غباء ... الحكاية بصريح العبارة تعني تسفير الشباب للجهاد في سوريا وليبيا هذا ما أفهمه... نحن سنهتم فقط بليبيا، الأصدقاء هناك يحتاجون إلى مجاهدين ومجاهدات...**"[1].

طبعا هذه المؤسسات التي تقام على أساس أنها جمعيات انسانية تساعد الفقراء والمساكين وتقوم على شؤنهم في البلدان الغربيةلكن في الحقيقة هي من تقوم بتجنيد المجاهدين وإرسالهم الى سوريا وليبيا، وهو تصدير واضح للإرهاب تحت مسمى الجهاد في سبيل الله.

3-2 - جهاد النكاح :

ظهر هذا المصطلح بظهور ثورات الربيع العربي، هو نوع من أنواع الجهاد ويقصد به أن تهب المرأة نفسها أو بالأحرى جسدها للمجاهدين قصد المتعة وهذا الزواج

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 204.

لا يدوم طويلا إلا ساعة أو ساعتين حسب رغبة المقاتل الجنسية ثم يتزوجها آخر وهكذا، وقد ظهرت هذه الفتوي مؤخرا في سوريا وليبيا رغم أن الاسلام يحرم هذا النوع من الزواج جاء في "صحيح البخاري عن محمد ابن كثير قال: « **أخبرنا سفيان عن معاوية بن اسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال: جهادكن في الحج**» [1].

وهذا دليل على أن المرأة في الإسلام لا علاقة لها بجهاد النكاح فجهادها في الحج كما قال صلي الله عليه وسلم فالدين الاسلامي كرم المرأة وجعل لها مكانة عالية، فهي من المتطور الديني ليست سلعة تشتري وتباع كما يعتقد مرضى النفوس وهذا نوع من أنواع الاغتصاب.

فالمرأة المجاهدة إن أبت أن تخضع للمقاتلين تغتصب بالقوة، وهذامناف للشريعة الاسلامية فالمرأة لها الحق في اختيار الزوج المناسب والعقد الذي بينها وبين الرجلعقد دائم، فهذه القضية ليس عليها غبار والزواج واضح في الدين الاسلامي وضوح الشمس في كبد السماء له شروط وقواعد محددة، لكن هذا الخلط في المفاهيم جعل بعض الدعاة يتجرأون على حق المرأة في الزوج بإرادتها فقد فقدت في هذه الفتوي حتي ولي أمرها الذي له حقالتصرف في زواج ابنته.

فقد "ورد في تلك الشائعة دعوة النساء المسلمات إلى التوجه نحو الأراضي السورية من أجل ممارسة النكاح، أي إمتاع المقاتلين السوريين لساعات قليلة بعقود زواج شفهية من أجل تشجيعهم على القتال، أشارت صحيفة اللوموند إلى أن مفهوم "جهاد النكاح" ظهر

1- قاسم الشماعي الرافعي ،صحيح البخاري ، باب جهاد النساء، دار الارقم، بيروت، لبنان، ج3 ،ص 435.

إلى العلن للمرة الأولى عبر "قناة الجديد" الموالية للنظام السوري وعلى الفور تداول الخبر من قبل بعض وسائل الإعلام الموالية كذلك لنظام بشار الأسد. أثير الموضوع عندما نُشر خبر يقول أن أكثر من 13 فتاة تونسية استجابت لهذه الفتوى، مما أثار الكثير من ردود الأفعال الغاضبة من المجتمع المدني، الذي اعتبرها بمثابة اختراق لقيم تونس التي كانت دائماً مبنية على احترام حقوق المرأة، ما أدى إلى صدور بيان من وزارة الشؤون الدينية في تونس يدين فيه الفتوى ويعتبرها غير ملزمة للتونسيات " [1].

في سخرية من الشخصية الرئيسية وهو يصف حال قيس الذي أصبح مرجعا دينيا يروج للجهاد في سوريا وليبيا وهو في جدل قائم بينه وبين الشخصية أريانا، التي تزوجها بدافع المصلحة، وهو ما يبين موقف محمد عيسى المؤدب من جهاد النكاح وهذا ما يوضحه المقطع التالي: "**عن** أي **جهاد يتحدث هذا المعتوه؟... تقول أريانا: وأنا بدوري أحلم بأن أكون من المهاجرات قريبا في اشارة منها للهجرة والجهاد في سوريا... ثم يردف نضال بقوله: طبعا، ستهاجرين لجهاد النكاح، هههههه أعرف مزاحك ،أنا لا أمزح، بالفعل أنا أحلم بذلك... أنت بدورك يجب أن تفكر في الأمر**، أي **مصير يحلم به المسلم غير الموت في سبيل الله؟**" [2]، فأريانا تحاول أن تقنع نضال بالسفر والجهاد، فهذ المقطع يبين الصراع الحاصل بين الخير والشر، وكيف يلعب هؤلاء على وتر الدين لتحقيق مأربهم، وهم عبارة عن أيادي تحركها جهات مجهولة الهوية، القصد منها تشويه الدين، وإظهاره على أنه دين عنف وتطرف .

1- مقال منشور في صحيفة فرنسية على الموقع:https://ar.wikipedia.org.

2- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم،ص187.

عالج "محمد عيسى المؤدب" قضية جهاد النكاح الذي ذكرنا سابقا على أنه عقد زواج تعقده المجاهدات مع المقاتلين لمدة قصيرة ساعة أو ساعتين، فقد ذكرت لنا الشخصية الرئيسية في الرواية كيف كانت تلك المؤسسة الخيرية التي تديرها عصابة تهريب الاثار وتمويلها لإرسال النساء للجهاد أو جهاد النكاح، وكيف كانت تلك المؤسسة تقنع الشباب للهجرة، والقتال في سوريا وليبيا وحتي اليمن فيمرحلة لاحقة، وهذا ما حدث مع شخصيةصباح المصرية التي وقعتفي شباك تلك المؤسسة، وهو ما يوضحه المقطع التالي: "**الصدفة وحدها هي التي بعثرت ملف صباح أمامي، على المكتب، صباح أحمد عبد الجليل ،صورتها نفضتني كذبابة مرتعشة كادت تسقط في الفنجان ... كيف تجرأت؟ كيف فكرت في الهجرة مجدد بهذا الشكل المخزي؟... هل اهتدت هذه المجنونة إلى دينها؟ هل صدقت أنها طرقت باب الخلاص؟...**"[1]،هي أسئلة كثيرة طرحها نضال فتح الله على نفسه لما وقعت عينه على ملف صباح التي قررت الهجرة الى ليبيا، فقد وقعت ضحية وفريسة في يد الارهاب الذي سيمرغ شرفها في التراب .

إن الإرهاب في رواية جهاد ناعم، والتهديد به، خلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب، والذي استهدف تحقيق أهداف سياسية وأخرى شخصية، بغرض تنفيذ أهداف غير إنسانية وفاسدة، وانتهاك الحقوق التي أقرها الدين والإنسان، فنجد أبو علي السعودي يستغل الفتاة صباح من أجل تحقيق مآربه باسم الدين، فيقنعها في حالة يأسها بالزواج منها بحجة أن يكون حاميا لها ودرعا قويا يقيها من القهر والظلم، فيكون كلامه كالمخدر الذي يخدر عقلها، فترضخ للواقع بكل قناعة وهذا ما يبرزه المشهدالتالي:" **وفي حالة اليأس يتشبث الغريق بقشة...قال لي أبو علي، ذلك السعودي الكريه، ما**

1- المصدر نفسه، 218.

حاجتك إلى العمل؟...ما تلهثين وراءه حرام حرام يا أختاه، المرأة عليها فقط أن تخدم زوجها ... فكري بروية، أنا أطلبك زوجة، وعيب أن لا أفعل ذلك" [1].

ثم تكتشف صباح في الأخير أكاذيبه، وقد عرفت أنه متزوج من ثلاث زوجات كانت هي رابعهن، الأمر الذي حز في نفسها نوعا من الصدام بواقع أليم، ويمتد هذا الصراع بينها وبين نفسها ليفتق ذاتها ويشطرها بين خياراتها، فترتسم ذات صباح في صورتها النفسية، ذاتا مغتربة تعيش في دوّامة العجز عن اتخاذ القرار، نتيجة لتعقد الأمور، لكنها تستلم في الأخير وترضى بواقعها، وهذا ما يوضحه المقطع **التالي**:" **أغرقتني لحيته في الأحلام ... تزوجنا فعلا ... وأنجبنا ابننا ياسر... اكتشفت بالصدفة أنه متزوج بثلاث نساء اثنتان في السعودية وأخرى في ميلانو توترت فعلا، لا أنكر هذا، وفي الأخير رضيت بقدري وقلت: الحلال أفضل من التشرد**"[2].

وفي مشهد آخر يظهر هذا الزواج طريقة استخدمها أبو علي ليمرر أفكاره الصادرة عن جهات مجهولة المصدر، التي تزعم أن همّها هو البحث عما يقرب من الجنة، للتغرير بصباح باسم الدين من أجل قضاء مآرب ارهابية محضة، هذا الأخير الذي كان يقول عن نفسه بأنه أبعد الناس عن حب الدنيا، وهذا ما قالته صباح:" **ذات ليلة فاجأني بقرار السفر إلى سوريا، قال بإصرار: ... نحن عباد الرحمان ولا بد أن نلبي دعوته سنحارب الكفار يا أختاه... إما أن ننتصر ونرفع ر اية الإسلام، وإما أن نذوق ما ذاقه حمزة بن عبد المطلب ... أن يجمع شملي معك في جنة الفردوس...**"[3].

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ، ص219.

2-المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

3 -المصدر نفسه.

وفي الأخير وجدت صباح نفسها قد وقعت في مصيدة الارهاب، وأن مصيرها هو خدمة المقاتلين في سوريا أو ليبيا، ففي رواية جهاد ناعم في كل مرة تتأزم عقدة شخصياتها وهو ما حدث لكل شخصيات الرواية التي عانت المشكلة نفسها وهي هروبهم من الحالة الاجتماعية المزرية ووقوعهم في مصيدة الارهاب، والاستغلال من طرف جهات خططت لجعلهم دما تحركهم متى شاءت.

من الواضح أن هؤلاء لديهم أسلوب خاص في الاقناع ويستغلون الدين الاسلامي للانقضاض على فرائسهم، وايهامهم بأن المستجيبين أو المستجيبات لدعوة الرحمان سيحظين بجنة الفردوس وأن المتخلفات عن الجهاد سيعذبن، وإقناعهن بأن جهاد النكاح هو طهر لهن من الذنوب والمعاصي.

اقتنعت صباح وقررت السفر إلى سوريا، كان في اعتقادها أنها ستقوم بشؤون الطبخ والتنظيف ومساعدة النساء في الاعتناء بالمصابين لكنها وجدت غير ذلك وجدت نفسها مغتصبةً ومهانة دورها في ذلك الجماع مع المقاتلين، واشباع رغباتهم الجنسية حتى وإن كان بالقوة، لم تبقى تلك الأنثى الطاهرة العفيفة التي ترتدي نقاب الستر والسترة، حتى زوجها ابو علي تركها تتجرع كأس الذل والمهانة، أي جهاد هذا الذي يجعل من الأنثى وسيلة لإشباع الرغبات وفقط، وهو دليل على الانحطاط الخلقي وسقوط أقنعة العفة والتدين عن هؤلاء الوحوش البشرية التي لا تعرف للرحمة طريقا، يتاجرون بأجساد الابرياء تحت عباءة التدين وهو ما يوضحه هذا المقطع "**عندما وصلنا ... كلف زوجي بمهمة الاسناد... وما روعني بعد شكله الخسيس وهو يبحلق في جسدي، نفخ بفمه وطلب مني أن أساعد المقاتلين بدوري ...القذر، أبو علي فهم بالضبط ما طلبه مني الحقير... اعتقدت انني سأقوم بأعمال التنظيف والطبخ... تسلل مقاتلون يلوحون**

برشاشاتهم عاليا من الغرف ... أحسست باختناق فصرخت في وجه المرأة المتصابية أمامي :ماذا يحدث هنا ؟ولماذا جئتم بي إلى هذا الخندق؟ صرخت كالمجنونة: هذا ما كان ينقصنا، أن تصرخي في وجوهنا ،هنا جهاد النكاح يا بقرة ،ألم يعلموك بمهمتك؟"[1].

في محاولة من صباح للتخلص من الكابوس الذي وقعت فيه حاولت الهروب من الشقة فمنعت من ذلك ووجدت نفسها عارية مغتصبة لا تقوى على المقاومة، اكتشفت أنها ما فتأت تخرجمن مشكل حتي تقع في أخرى،أنها الأنثى الضعيفة التي تصدق الأوهام وتندفع بلا تفكير ولا تخطيط.

وجدت صباح نفسها بين المطرقة والسندان إما أن ترضخ لواقعها ومصيرها المحتوم وإما أن تموت "**التحق بي رجل بلا ملامح، بل هو وحش، صفعني ثم ضربني على مؤخرة رأسي .عندما استفقت اكتشفت أنهم مزقو ملابسي، النقاب وكل ملابسي الداخلية ،كنت عارية تماما، عاينت أيضا آثار اغتصابي، في لحمي على لحاف أبيض ....صرخت ثم تقيأت استغثت بالجميع ولم يسمعني أحد، لا أدري، أكنت في قبو سحيق أو داخل مقبرة معزولة في الصحراء؟ "**[2].

أنه الحلم الذي راود شخصيات رواية جهاد ناعم بالعيش في الجنة المزعومة منذ انطلاق الرحلة السرية وهم يعيشون حالة من الياس والاحباط، فكلما أرادو الخروج من النفق المظلم عادوا اليه مرةثانية شخصيات عانت أنواعا من العذاب النفسي والجسدي وهذا ما بينه هذا القول الذي جاء على لسان "صباح": "**بل سأتكلم يا نضال، سأتكلم وأفضحهم**

1- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص220.221.

2 -محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص212.

،القتلة الاوغاد، الجبناء...سجنوني في شقة طيلة شهر ،في كل يوم يغتصبني ما يزيد عن عشرة وحوش،وبنهاية الشهر أخلوا سبيلي .....هل كنت مجرمة بحق نفسي؟ لا أدري، لا أدري كيف سقطت بمثل ذاك الغباء .....سمعت في تلك الليالي السوداء الى نداءات واستغاثات بكل اللهجات واللغات وكن في الاخير ييأسن ويتيبسن"[1].

الاستغاثات التي سمعتها صباح طيلة شهر من العذاب دليل على أن المقاتلين يستقطبون النساء من كل الجنسيات قصد جهاد النكاح، وكانمن حسن حظ الشخصية صباح أنها نجت بأعجوبة من يد المقاتلين فقد رجعت إلى ايطاليا وقررت الانتقام من زوجها الذي تركها للوحوش وسافر الى ليبيا وهذا ماجاء في المقطع التالي: "**أبو علي ذاك الجبان، هاجر إلى ليبيا وتركني دابة للوحوش،وبالطبع ،القتلة سعوا للتخلص مني ،صحبني أحدهم إلى اسطنبول ثم سلمني تذكرة العودة الى إيطاليا**"[2].

تعود صباح بعد رحلة شاقة الى ايطاليا كطائر مصاب عادت تحمل معها ذكريات أليمة عاشتها في سوريا ذكريات كلها حزن وبؤس وشقاء، وحسرة وندامة على فقدانها شرفها وكرامتها، تحمل معها الحقد على أناس وضعتفيهم كامل ثقتها وفي الاخير قابلوها بالإهانة هذا الصراع النفسي ولد في ذاتها روح الانتقام، وهي في تلك الحالة المزرية تريد أن تنتقملنفسها من الرجل الذي مرغ كرامتها في التراب وداس عليها بقدميه، وجعل منها مطية للقاصي وداني وهو ما ورد في هذا المقطع :" **اسمع يا نضال، اسمعني الآن، لا تتردد في مساعدتي أرجوك ،إني أنزف حقا ،أنزف وأقاوم ... قبل أن أموت لابد من أن أسافر الى ليبيا ،سأترك ياسر في ملجأ الأيتام ،فعلا ،لقد عزمت على**

1- المصدر نفسه،ص222.

2 -محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم ،ص 222.

السفر، لابد أن أقتل ذاك القذر الذي ذبحني ذبحني يا نضال، أتدرك ما حدث معي؟
"[1].

والحقيقة أن شخصيات هذه الرواية لا تحمل الهم الاسلامي بقدر ما تعيش الاستلاب والاغتراب الروحي، لا تؤمن بالقيم الدينية، وتظهر المرأة مجرد سلعة تتداول بين الرجال لا قيمة لها ولا معنى للشرف والعفاف عندها.

3-3- الربيع العربي :

يعرف مصطلح الربيع العربي أو ما يسمى بالثورات العربية بأنه تلك الثورات والاحتجاجات السلمية التي تقوم ضد الفساد والظلم والاستبداد الذي يتجاوز حدود الطاقة البشرية واندلعت لتنادي بإسقاط النظام القائم بالخصوص تلك الأحداث حدث في المنطقة العربية كتونس، فالغرب هو من أطلق مصطلح الربيع العربي على الأحداث التي كانت في المنطقة العربية بدءا بتونس، حيث كانت صحيفة "الأندبندنت" البريطانية أول من استخدم هذا المصطلح وقد يكون لذلك علاقة بثورات العرب عبر تاريخه التي تعرف هي أيضا بثورات الربيع الأوروبي[2] .

1 -المصدر نفسه الصفحة نفسها.

2 - جان بيك الشتين، ج ، بورو، جوليا أناس وآخرون، تر: د.أنطوان جمعي، الجزء الأول من حروف الألف حتى نهاية حرف العين ، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة،ط1، 1994م)، ص 15.

ويعد مصطلح الربيع العربي له أصل أوروبي يستحضر روابط بينه وبين "ربيع الأوطان" ... أو ربيع أوروبا الشرقية في أواخر الثمانيات بعد سقوط الشيوعية عندما سعت الثورات الشعبية باسم الديمقراطية العلمانية إلى الإطاحة بأنظمة مستبدة حكمت لعقود[1].

وهو بذلك حركة اجتماعية أي أنه يطلق على الأحداث التي عصفت بحكم الرئيس "زين العابدين" في تونس وغيرها من الدول العربية كمصر وتونس وليبيا، واليمن وغيرها، مما أدى بهذه الأحداث إلى بروز تغيرات أثرتعلى الساحة العربية، ليست على الصعيد السياسي فحسب بل حتى في مجالات مختلفةمنها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وحتى العقائدية .

أما الربيع العربي أوما بات يعرف بالثورات العربية أو الاثنان معاً ثورات العربي فهو مفهوم يطلق على الأحداث التي جرت في المنطقة العربية وجرها الشباب بدءا بتونس خلال أواخر عام 2010م رافعة شعار (ارحل)و (الشعب يريد إسقاط النظام) ونهجها (ثورتنا ثورة سليمة)[2] .

بالعودة إلى أحداث روايتنا نجد بأن "عيسى المؤدب" قد نزع تصويره المجتمع العربي تصويرا دقيقا، وذلك من خلال وصف تاريخ الأرض المنكوبة ورصد لوقائع المجتمع الذي يشكو الجراح منذ عهد الرئيس "بن علي" إلى ما بعد الثورة التونسية، وكذلك شبابه الذي سُلبت منه الحياة وانكسرت طموحاته وآماله وصار ضحية معرض لكل أنواع الفساد

1 – رمضان عبد السلام حيدر: ثورات الربيع العربي ومستقبل النظام السياسي العربي، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 24، 2012، ص522.

2 – المرجع نفسه ، ص521.

وقد نلتمس هذا التأزم والمعاناة وكذا الثورات التي تعيشها المنطقة منذ العنوان "جهاد ناعم" الذي يجسد لنا عمق الوعي بالأزمات التي تقصف بهذا الواقع المهزوم، فالعنوان بذلك يجعل القارئ يتفاعل مع قضايا هذا الواقع المرير الصادم ويثير انتباهه وتحفيزه على إكمال القراءة والدخول إلى عالم الرواية

هذا الواقع المرير والمتأزم الذي نلمحه من خلال الغلاف الخارجي لهذه الرواية– اللون الأحمر– وهو لون الدم الذي كتب به الرواية ورسمت من خلاله الأحداث وتلطخت به أمكنتها وهذا ما يفسر ذلك الفضاء الملتزم، مما أضفى مسحة من القداسة على هذه الرواية، فهو بهذا المعنى يعكس لنا قلق وحيرة الروائي عيسى المؤدب الرافض لهذا الواقع المرير والمخزي القائم على المقاومة والعنف، وتوضيح العلاقات بين الشمال والجنوب، فهي بذلك تعد شبكة متداخلة بين الإيطاليين والعرب وبين المسحيين والمسلمين.

وبذلك فثورات الربيع العربي مرتبطة بكل التحولات السياسية والاجتماعية وكذا الاقتصادية

فالرواية تمتاز بالوصف الصادق والجريء لتلك الأوضاع الاجتماعية والسياسة والإنسانية المتأزمة والتي يعيشها الشباب الذينيعانون التهميش والحرمان،العالم بحياة أفضل هذا الشباب الرافض للواقع الاجتماعي والسياسي المتأزم في كل من تونس، والجزائر، وليبيا وحتى سوريا والمغرب ومصر، والذي وجد نفسه متراميا بين أحضان الفقر والفراغ و"الزطلة" والكحول، الأمر الذي دفع به إلى التفكير في الهجرة غير الشرعية من أجل تغير وضعه المتأزم البائس والهروب من الواقع الاقتصادي

والاجتماعي المهزوم بالثورات والفقر واستنزاف للثورة والاستغلال والاضطهاد مما جعله يعيش الاغتراب وانتهى به الحال إلى مصير التهريب .

ذلك الشباب الذي تعثر به الحلم أمام المجتمع الأوروبي مجتمع الفساد والظلم والاحتقار، الذي استطاع بفضل القناع المزيف الذي يرتديه باستغلال هذا الشباب الطامح الذي أتى إليه من مجتمع محافظ متدّين، وذلك عن طريق تزين هذا القناع وإعطاءه الحرية في التعرف على كل شيء وكل هذا باسم الدين الإسلامي وما يمليه من تعاليم وشعارات تضمن حقوق الإنسان، فاستغلوا بذلك الدين الإسلامي من أجل رمي الشباب إلى الهاوية كما هو بالنسبة لقول الكاتب على لسان أحد شخصياتهو الرجل اليساري الأستاذ عاطف:" **أيها القوم أيها الفقراء والجياع، أنتم لا تهاجرون خلسة إلى بلاد الطليان، الجزيرة جزيرتكم فكلوا واشربوا وانكحوا ما طاب لكم... أنتم، لا يحاصركم الشك، في أرض الأبطال والأجداد...**"[1]، الأمر الذي دفع بالشباب إلى تصديق هذا الأمر الذي زين له الوجه الآخر للمجتمع الأوروبي، ليصدم هذا الشاب الطامح الضائع منذ لحظة وصوله بالحياة القاسية والعنصرية فيصدمون الجنود والبوليس والرمي بهم في السجون، فبطل الرواية "نضال فتح الله" يعد نموذج لهذا الشباب الذي يعاني القهر والظلم هذا الغرب القائم على التطرف والإرهاب والحقد الطبقي يخرج منه الشاب إرهابيا مشبعا بالحقد والقتل والانتقام من العالم .

فالرواية بذلك تفصل بين هذا الغرب السياسي الذي يتعامل مع الأنظمة والقوانين الرافضة لهذا الآخر اللاجئ إليها، وبين المجتمع العربي الذي يغلب عليه التسامح والحب وإعطاء صدر الرحب للوافد إليها من كل مكان، والعادات التي فرضها الدين

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص54.

الإسلامي، فالغرب بذلك حاول استغلال هذا الجانب الديني في المجتمع العربي المسلم المحافظ، من أجل تحقيق غاياتهم والرمي بهذا الشباب إلى زورق الفساد الديني والأخلاقي والجرائم والمخدرات والعنف، والرمي به إلى معركة الجريمة المنظمة والانحراف، وتأجيج نار الفتنة والوقوع بها في جحيم الحروب والدمار والتي كانت سببا في الانقسامات التي حدثت داخل هذا الوطن العربي.

الأمر الذي أدى بالروائي "عيسى المؤدب" إلى الغوص في عمق التاريخ والعلاقات بين كل من العرب والغرب وكذا الفارق الديني بين الشعبين.

ومع هذا فإننا نلمح في الرواية تقاطع بين الواقع التاريخ فهي بذلك صورت لنا تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، كما تطرح العديد من القضايا الخارقة المتأزمة، منها الواقع الاجتماعي المتهرئ كل هذا في إطار أحداث الربيع العربي.

فالرواية تناولت قضايا من تاريخ العالم وتاريخ تونس بالخصوص، منذ بداية الثورات حتى يومنا هذا، وجعلت بذلك لتونس دوراً هاماً ومحورياً في منطقة البحر المتوسط وهذا مما يفسر تقاطع مع الأحداث مع الواقع التونسي وكذا التأثر بما يجري فيها من أحداث السياسة وهذا معناه التأثر بأحداث الربيع العربي" **لم يسنّ لي أن أتابع ما يجري في تونس .... رأيت المجهول في الاحتجاجات والحرائق وأصوات الرصاص والجثث المتناثر في الطرقات إلى أين تمضي يا بلد؟**"[1] .

فالكاتب هنا يتساءل بحرقة عن مصير هذا البلد المهزوم لما عاناه من ظلم واستبداد، وهكذا ظل هذا التوظيف للواقع على امتداده التاريخي عند عيسى المؤدب

1 – محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، ص 163.

مركزا يستقطب منه الأحداث من خلال متن الرواية، والتي تناولت بالطرح أحداث الرواية وشخصياتها مهزومة فقدت آمالها وطموحاتها من بداية الرحلة إلى نهايتها، مما جعلها صدا لمفهوم الخيبة والمأساة، واستغلال الدين من طرف هذا الغرب الحاجب الذي دفع بالشباب إلى زورق الجرائم والفساد، مما أدى إلى تحطيم أحلامه والاصطدام بواقع القهر الاجتماعي، وثورات أحداث الربيع العربي، مما جعله بذلك يعيش صراعا بين هذا الواقع المتأزم والحلم، وبين الوطن والغربة.

من خلال ما سبق نلاحظ أن محمد عيسى المؤدب قد عالج من خلال روايته "جهاد ناعم" قضية الإرهاب والجهاد بكل أنواعه في فترة ما بعد الثورة التونسية والعشرية السوداء، في صراع إيديولوجي كاتم للإنسانية،صراع تحتعباءة الدين الذي يمارس الرذيلة والانحطاط والقتل وكل شيء مقرف، صراعات كشفت عن نظام منخور بالفساد حدّ العظم، اختلت فيه كل الموازين، وفُقد فيه الشعور بالانتماء للعالم الانساني، صُوّر فيه هيكل المجتمع المريض وما نتج عنه من آلام انتقلت إلى المتيقظين، وهم يحاولون الانعتاق من انهزاماتهم، وتَحكُّم القدر في انتصاراتهم فاستحالت أجسادا تتحرك بلا ذاكرة محكومة بثقافة المسموح والممنوع ولا قدرة لها على نقض الأسباب.

خلاصة القول شخصيات هذه الرواية تلولبها الهواجس والوساوس في برزخ الرعب بين الذي تهندس من خرابات في الوطن العربي، وبين الفظيع المترصد لها في صراعها من أجل الحياة، هذه الحياة التي تنفيها الفجائع المرعبة، حياة تنسجها الأحلام، حياة تمحى بالرعب، حياة تكتب الحلم، حلم مضاد، ينسج الحياة كما ينسج الرداء العربي الذي يلتف به الهاربون من الجحيم، التف به بطل الرواية نضال للخروج هربا من الحياة

التي كانت يدا تخنق مستقبله، فإذا به يقع في فجيعة أخرى من الرعب الذي يقطع الأنفاس وسط مستنقعات البؤس والظلام والعفن.

الخاتمة

خاتمـــة:

لما كان على الباحث الإلمام بأهم الجوانب الاجتماعية، والثقافية والدينية التي عاشها المجتمع العربي في العشرية السوداء وتبيين أنواعها المختلفة ونظرة الأعمال الأدبية إليها، وبالخصوص الرواية، إذ أنها حاولت رصد الواقع الاجتماعي وفرض نفسها على الساحة الثقافية، حيث أصبح الروائي ينظر إلى الظواهر الاجتماعية، والثقافية، والدينية بمنظار جديد استجابة لمتطلبات الواقع ومعطياته السياسية والثقافية، وهي الظواهر التي صاغها الروائي التونسي "محمد عيسى المؤدب" صياغة نابعة من واقعه المعيش، وذلك بمقدار وعيه لهموم وطنه ومجتمعه بالإضافة إلى الوعي الثقافي الذي يعتبر محصلة لأفكار ونظريات ووجهات نظر الحس الوطني،وبعد كل هذا البحث والتحليل توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

9. كانت رواية جهاد ناعم مسايرة لتطورات العصر، ناقدة للأوضاع السيئة فيه، ومجسدةللحلول التي من شأنها تقويم الاعوجاج في أرض منكوبة ومجتمع مهترئ وشباب مسلوب للحياة مصلوب على خشبة الأطماع.

10. سعت رواية جهاد ناعم للحفر عميقا في الذاكرة الوطنية وذلك باستدعاء الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخيةللتأكيد على القيمالثقافية الحاضرة،حيث تقاطع فيها الواقع بالتاريخ، والخيال الشعبي بالأغاني الشعبية في لغة سلسة شاعرية مزجت في مواضع عدة بين العربية والعامية والأجنبية، عبرت عن الوجع وكشفت كما من المعاناة والهموم.

11. حضور البعد الثقافي في النص يتجلى بتعالقه مع التاريخي والديني والاجتماعي والرمزي، وما طرحته الوضعية التاريخية من خصوصية للرواية العربية عموما، والتونسية خصوصا إذ ولدت إشكالياتالهوية، والمصير؛ والتي انفتحت على واقع ما بعد الثورة التونسية في عهد الحكومات الجديدة.

12. الرواية تحمل تأويلات لا نهائية، فامتزاج المكون السرديبالثقافي المبثوث بالنص أنتج عالما للقراءة، والمتعة وأصبغ عليهجماليةوفنية رسخت التعدد الدلالي والفكري، هذا ما فتح تشكلات وتوجهات الثقافة، ورصد أبعادها في النص أي البوح بالمسكوت عنه.

13. اختزلت رواية جهاد ناعم تاريخ الحضارة العربية في علاقتها مع الحضارة الغربية، هذا الصدام الذي خلف موروثا عدائيا مستمرا إلى اليوم، وكأن الكاتب هنا يعيد طرح سؤال :لماذا تقدم الغرب وتأخر العرب؟

14. فقد كانت الأحداث رصدا لوقائع المجتمع واستبطان نفسيات الشخصيات والوقوف على أدق دقائق المرض المزمن في هيكل المجتمع وروحه، بدءا بالهجرة السرية والحراقة، إلى مشكلة حوار ضفتي المتوسط (الجنوب والشمال) في إطار أحداث الربيع العربي وعلاقة الحاكم بالمحكوم.

15. عكست الرواية عمق الوعي بالأزمات التي تعصف بالواقع المهزوم، انطلاقا من المحلي مرورا بالوطني فالإقليمي والعالمي، فغاصت أحداثها وتفاعلت مع الواقع المرير الصادم.

16. رواية جهاد ناعم رحلة شباب رافض لواقع اجتماعي وسياسي متأزم وجائر ناتج عن العولمة وافرازاتها للفوضى الخلاقة، فكانت شخصيات الرواية تحمل جنسيات عديدة، وظفت في خدمة أبعاد اجتماعية ودينية وثقافية، اتخذها الكاتب وسائل فنية حمّلها موقفه من الأحداث في الواقع .

وهذا كله يظهر أن "محمد عيسى" المؤدب جسد في روايته "جهاد ناعم" العلاقة اللامتكافئة بين الغرب الفاعل والشرق المفعول به، غرب ينعم باللين والاستقرار وشرق يكتوي بمخططات المحرقة.

الملحق

- التعريف بالكاتب : محمد عيسى المؤدب
- التعريف بالشخصيات في الرواية
- ملخص الرواية

ملحق:

ترجمة للكاتب:

محمد عيسى المؤدب هو كاتب وناقد تونسي من مواليد أكتوبر 1977 بصاحب الجبل معتمدية الهوارية، زاول تعليمه الابتدائي بصاحب الجبل، ثم انتقل الى المرحلة الثانوية بمعهد الهوارية وعزيز خوجة بقليبية ،أحرز على الاستاذية في اللغة والحضارة العربية من كلية الآداب بمنوبة سنة 1991 ،عمل بالتدريس والصحافة والانتاج الإذاعي ،كتب في الشعر والقصة القصيرة والرواية والمقال الادبي وأنتج العديد من البرامج الأدبية لإذاعة تونس الثقافية والإذاعة الوطنية التونسية .

شارك في العديد من الملتقيات والمهرجانات الأدبية والثقافية في تونس وخارجها بمصر والجزائر وهو حائز على الجائزة الوطنية لأدب الشباب في القصة القصيرة سنة 1998 عن مجموعته القصصية "غرس النار. "

من مؤلفاته المجموعة القصصية "عرس النار " سنة 1995 الصادرة عن الدار العربية للكتاب، مجموعة قصصية أخرى بعنوان "أية امرأة أكون " سنة 1999 عن دار الاطلسية للنشر، كذلك ألف في الرواية روايته الأولي "في المعتقل" سنة 2013 عن دار الاطلسية للنشر، كتب محمد عيسى في النقد مجموعة من المقالات الأدبية بعنوان " نصوص منسية في الأدب التونسي الحديث " عن دار القلم سنة 2013 .

وكان آخر ما كتب محمد عيسى المؤدب في الرواية هي المولود الجديد بعنوان جهاد ناعم والتي تعتبر العمل الخامس للكاتب في مسيرته الروائية وقد صدرت عن دار

زينب للنشر والتوزيع في طبعتها الأولى سنة 2017 في 260 صفحة، والفائزة بجائزة الكومار لسنة 2017م

التعريف بالشخصيات في رواية جهاد ناعم :

17. الشخصيات الرئيسية:

18. **نضال فتح الله** :يعتبر الشخصية الرئيسية في الرواية والمحرك الأساسي لأحداثها، ابن عبد القادر فتح الله وفطومة الهجالة وهو شاب في الأربعين من عمره متزوج وله بنتان ،مريم وفاطمة يسكن في الهوارية مسقط رأس الكاتب محمد عيسى المؤدب، يعتمد في معيشته على الصيد وهو ابن البحر كما يقول.

19. الشخصيات الثانوية:

20. **عليون بن سيلان:** هو شاب سنغالي، موظف بإحدى الفنادق المغربية، رافق المغربيتين علياء ونوال .

21. **قيس:** والمكنى بالأحول وهو من مروجي المخدرات رافق نضال فتح الله طيلة رحلته السرية الى ايطاليا .

22. **عامر**: شخصية ثانوية ظهر في بداية الأحداث وهو الساعد الأيمن للشخصية الرئيسية في الرواية ساعده في تنظيم الرحلة وهو صاحب الفيلا التي كان يحتمي بها الشباب المهاجر الى ايطاليا، كان يعمل طباخا لدى الديوان القومي للصيد البحري ،وهو متزوج وأب لطفل .

23. **رحمة:** هي شابة في العشرين من عمرها ،تركها زوجها ورحل مع امرأة أخرى الى ايطاليا ،فقررت اللحاق به والانتقام منه، وفي الاخير لقيت حتفها على يده ومات هو الآخر منتحرا.

24. **الياس الجزائري** :هو شاب دفعه الفقر والحاجة الى الهروب من واقعه بالسفر الى ايطاليا وفي أخر المطاف وقع في شباك منظمة إرهابية في ليبيا .

25. **علياء:** هي مغربية الأصل رافقت عليون السينغالي من المغرب الى تونس ومن ثم الى ايطاليا، لكن في الأخير لقيت نفس مصير الياس الجزائري.

26. **صباح المصرية:**هي الأخرى تزوجت عند وصولها الى ايطاليا بأبو علي السعودي وأنجبت منه ولدا لكن اكتشفت أنه ينتمي الى تنظيم ارهابي، وأنه خدعها باسم الدين، فهاجرة معه الى سوريا، ووجدت نفسها داخل منظمة ارهابية تغتصب النساء باسم جهاد النكاح.

27. **سما المصرية:** هي شابة من العريش ،كانت تمضي معظم وقتها مع حبيبها أحمد ،لكنها فقدته في حادث مرور أودى بحياته،فقررت الهرب خوفا من الفضيحة الى ايطاليا.

28. **سلوى:** هي شابة تونسية متخرجة من كلية الآداب بمنوبة، كان أبوها عامل بمكتب الصفقات، اكتشف سرقات في هذا المكتب فلفقوا له التهم ومات في السجن، أما والدتها فماتت قهرا عليه، فقررت سلوى الرحيل من الوطن الذي قتل ابويها .

29. **السيد جورجيوجياكينيري:** يعتبر شخصية ثانوية وهو كهل ايطالي الأصل متزوج من الفرنسية أماندين.

30. **خليل** :هو الشخصية الأسطورية التي كانت دائما على لسان عبد القادر فتح الله .

31. **عاطف** :هو شخصية اتقاها نضال فتح الله في أحد الرحلات السرية ،ويعتبر رمزا للماركسية ،مات منتحرا بسبب عدائه للنظام القائم في تونس .

32. **المحقق بيرو رانكادوري:** هو شخصية ثانوية حقق مع نضال فتح الله عند سجنه في باليرمو.

33. **ليليا:** هي الفتاة العراقية المشهورة وهي شابة في الثلاثينيات من عمرها ،قامت بقتل رجلين من داعش انتقاما لمقتل والديها في مخيم العامرية بالفلوجة العراقية، طلبت اللجوءإلى ايطاليا واعتنقت المسيحية.

34. **السيدة ماريزا:** صاحبة الملهى في باليرمووهي أول من استقبلت الشخصية الرئيسية عند خروجه من السجن.

35. **السيد هادزيتش** : شيخ طاعن في السن وهو صديق للسيدة ماريزا.

36. **أريانا:** هي شابة مختلطة الجنسية بين التونسية والايطالية، كون جدتها تونسية الاصل ،وهي مسلمة الديانة، حاصلة على شهادة في اللغة العربية من جامعة سبينزا بروما الايطالية ،كانت تدير شؤون مخزن الآثار المهربة من الدول العربية، تزوجها نضال فتح الله من أجل المصلحة،وفي الأخير لقيت مصرعها على يد المجموعة الإرهابية التي كانت تعمل لصالحها .تربطها علاقة وثيقة بقيس الأحول، كما ذكر نضال فتح الله .

37. **السيد كاراس:** هو شخصية ثانوية، وهو الرأس المدبر لسرقت التحف الأثرية، كما أنه مدير المؤسسة التي تجند الشباب للهجرة نحو سوريا وليبيا والعراق وغيرها من الدول العربية قصد الجهاد .

ملخص رواية جهاد ناعم:

تصور رواية جهاد ناعم لمحمد عيسى المؤدب حالة البطل "نضال فتح الله" مواطن تونسي عانى الكثير من المظالم خاصة وهو يعيش بين أحضان مثلث التخلف(الفقر ، المرض،الجهل)، لكن بالرغم ما تعرض له من عمليات دنيئة حاولت تجريده من خصوصيته العربية في بلد غريبة، بقي متأثرا بوالده الذي لطالما اعتبره القدوة الحسنة في رعايته لمبادئه ورفضه لكل أنواع الظلم، وهذا ما جعله الشخصية المحورية التي التفت حولها باقي شخصيات الرواية، نضال فتح الله هاجر موطنه قسرا هروبا من الظلم والتعسف، تاركا زوجته الفقيرة المعدمة التي تعيش حالة فقر مدقعة مع ابنتيها، ليحرق إلى إيطاليا، فيعاشر رجال العصابات، ويتزوج من مومساتهم غصباعنه لتلقي به هذه الأخيرة إلى مستنقع الجريمة المنظمة تحت لافتات مزيفة، والذي الذي لا يعرفه بل يكتشفه بالصدفة، ويكتشف هناك صراعا أكثر خطورة مما كان يتوقعه، هناك كل شيء انتزعت منه قيمته الجميلة حتى صار بضاعة تعرض في الشوارع.

هذا الزخم من الانحرافالأخلاقي يقدم صورة واضحة لمختلف الأفكار المعادية للإنسانية، فتقوده هذه الظروف إلى الانخراط في تنظيم إرهابي، ليصدم فيه بقوانين صارمة مسلطة على رقبته العارية كالسيف الحاد، والتي لا تخرج عن التعليمات؛ لا تلتفت ورائك احفر قبرك في صمت دون الاعتماد على أحد، فلا يوجد في قاموسهم لا صديق، لا زوجة ولا قريب.

وبعد سنوات من الهجرة القسرية، وفي نهاية الرواية يعود نضال فتح الله لبلده فقيرا معدما جائعا، ثم يمسي سجينا من جديد بعد أن يتم القبض عليه صحبة مجموعة من الارهابيين.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر

- محمد عيسى المؤدب: جهاد ناعم، زينب للنشر والتوزيع ،ط1،2017، تونس.
- أبو عبد الله بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني
- الحافظ أبي بكر محمد ابن عبد الله :كتاب الفوائد (الغيلانيات) ،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام ،ط1 ،1997، مج1.
- قاسم الشماعي الرافعي ،صحيح البخاري ، باب جهاد النساء، دار الارقم بيروت لبنان ج3

ثانيا: المراجع:

- تفسير القرطبي ،ابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط2 ، 1964.
- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، ط4، 1997م.
- بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس.
- رشاد أحمد عبد اللطيف: الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، د/ت.
- رمزي زكي: الاقتصاد السياسي للبطالة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د/ط، 1998.
- ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002.

- سعيد اسماعيل علي: دراسات عن التعليم في المملكة العربية السعودية، دار الثقافة، القاهرة، 1979.
- سلامة موسى: الثقافة والحضارة، مجلة الهلال ،ديسمبر، 1927
- عفاف عبد المعطي: حاضر الرواية في المغرب العربي، دراسة نقدية، دار المعارف للطبع والنشر (سوسة / تونس)، 2002.
- قاسم محمود: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996.
- كامل سلامة الدقس ،الجهاد في سبيل الله، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، ط2 ،1988.
- محمد الجابلي: من آفاق الرواية " قراءة في نماذج من السرد التونسي الحديث"، دار المها، تونس، 2012.
- محمد رشاد متولي: جرائم الاعتداء على العرض في القانون الجزائري المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1989.
- محمد صالح الجابهي: القصة التونسية نشأتها وروادها، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1977.
- محمود عبد الله خوالده: علم النفس الإرهابي، دار الشرق، ط1، عمان.
- هانم ابراهيم: الانتماء والقيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، د/ط.
- إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط3، 1983.

ثالثا: المعاجم والقواميس:

- ابراهيم مصطفى: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د/ط، د/ت،

• ابن منظور: لسان العرب، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، باب الثاء، مادة (ث، ق، ف).

•سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم: المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مجلد: 20 .

•مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، مادة شرق.

•أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ط 1 ،1994

رابعا: المراجع المترجمة:

• جان بيك الشتين، ج ، بورو، جوليا أناس وآخرون، تر: د.أنطوان جمعي، الجزء الأول من حروف الألف حتى نهاية حرف العين ، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة،ط1، 1994م).

•أحمد اسمايلو فيتش: فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي، (د/ط)،1998.

• جان مينو: مدخل إلى علم السياسة، تر: جورج يونس، منشورات عويدات بيروت، باريس، ط2 2911 .

• رالف لينون: الأنثربولوجيا وأزمة العالم الحديث، تر: عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1967.

• دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

• كلير كرامش: اللغة والثقافة، تر: أحمد الشيمي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط1، 2010، ص16.

خامسا: الرسائل والمجلات والمقالات :

- عبد المالك بن شافعة: المسرح الجزائري اتجاهاته وقضاياه، رسالة ماجستير جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009- 2010.
- هدى بدري: الأبعاد الثقافية في رواية نجمة للكاتب ياسين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ المتقدم الجابري، كلية اللغة والأدب العربي والفنون ، جامعة باتنة، 2015-2016
- رمضان عبد السلام حيدر: ثورات الربيع العربي ومستقبل النظام السياسي العربي، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 24، 2012.
- علي الحوّات وآخرون: مجلة الدراسات، المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، العدد28، 2007.
- شرف الدين شكري: بانوراما الرواية التونسية، مجلة عمان، العدد 74، أوت، 2001.
- عز الدين المدني: علامات على طريق القصة والراية بتونس، مجلة الموقف الأدبي، العدد82، دمشق، 1978.
- محمد المحيسن: المشكلات الاجتماعية للشباب والطلاب بالجامعات السودانية وعلاقتها ببعض التغيرات النفسية والتربوية، مقال منشور على الموقع: http://www.araburban.org
- محمد سعيد العشماوي: التطرف الديني وأبعاده السلبية أمنيا وسياسيا واجتماعيا، مجلة المنار القاهرة، عدد 26 ،1987.
- نعيمة الحمامي: قراءة في رواية جهاد ناعم للكاتب التونسي محمد عيسى المؤدب، مقال منشور على الموقع:www.almothaqaf.com

●محمد الجابلي: جذور التحول الاجتماعي وآفاق في الرواية التونسية، موقع نادي القصة.

سادسا: المواقع الالكترونية

● http://www.nabulsi.com

● https://ar.wikipedia.org.

● https//ar.m.wikipedia.org

فهرس

المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ- د

مدخل

1- نشأة الرواية التونسية 6

2- بداية الرواية التونسية 9

3- المراحل الكبرى للرواية التونسية 9

3-1- مرحلة الترجمة والاقتباس 9

3-2- مرحلة تشكيل الوعي الإبداعي 11

3-3- مرحلة الاستقلال وتشكل البعد الواقعي 12

3-4-مرحلة ما بعد الاستقلال 13

4- الرواية التونسية الناطقة بالفرنسية ..... 14.

5- اتجاهات الرواية التونسية 15

5-1- الاهتمام التاريخي 15

5-2- الاهتمام الوطني 16

5-3- الاهتمام الاجتماعي 16

الفصل الأول: الابعاد الاجتماعي في رواية جهاد ناعم

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للبعد 19

2- تجليات الابعاد الاجتماعية في رواية جهاد ناعم 19

2-1 -البعد الاجتماعي 19
2-2- الهجرة غير النظامية(الحرقة)..... 20
2-3- البطالة..... 23
2-4- الفقر والجوع..... 25
2-5 -المخدرات (الزطلة/ الحشيش)..... 26
2-6- المرأة(الاغتصاب /الدعارة)..... 28
2-7- التسرب المدر سي 31
3- تجليات البعد السياسي من خلال العلاقات الاجتماعية في رواية جهاد ناعم 32
3-1- السلطة والشعب..... 32
3-2- التهميش والحاجة إلى الانتماء..... 34
3-3- العنف/ التطرف/ الإرهاب..... 36
3-4- المافيا/ السجن..... 38
الفصل الثاني: البعدين الثقافي والديني في رواية جهاد ناعم
البعد الثقافي في رواية جهاد ناعم 42
أولا: مفهوم البعد الثقافي.....42
ثانيا: علاقة الثقافة باللغة..... 44
1-المرويات الشعبية في رواية جهاد ناعم 47
1-1-الأغاني الشعبية 47

1-2- الشعر الشعبي 50
1-3- الحكاية الشعبية 52
2-العادات والتقاليد 54
2-1-الحضرة 55
2-2- طقوس السفر 56
3-الاستشراق 57
3-1 تهريب الآثار 59
البعد الديني في رواية جهاد ناعم 62
1- مفهوم البعد الديني: 62
2- الجهاد والارهاب من المنظور الديني 63
2-1- مفهوم الجهاد 63
2-2- أنواع الجهاد 64
3- الجهاد والارهاب في روية جهاد ناعم 65
3-1- جهاد السلاح 65
3-2- جهاد النكاح 69
3-3- الربيع العربي 75
خاتمة 82
ملحق 85

قائمة المصادر والمراجع 91
فهرس المحتويات 97
ملخص

الملخص:

تسعى هذه الدّراسة إلى رصد البعد: الاجتماعي والديني والثقافي في رواية جهاد ناعم، عبر تقديم فكرة متكاملة عن الواقع المعيش في العالم العربي، وما يحدث فيه من صراعات دينية واجتماعية، كما طرحت حالة العنف والارهاب وأشكال الكراهية الدينية والمذهبية الثقافية، في ظل عالم من الصراعات والتوترات والتناقضات، والتي جسدت المفاهيم المغلوطة للدين وانعكاساتها على ثقافة المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الرواية – البعد – الدين – المجتمع– الثقافة.

Summary: This study is aimed to shed light on the social ,religious and cultural dimensions in Jihad Naiim novel through giving a whole picture about the real life in the Arab world; social and religious conflicts .It focuses also on violence ,terrorism and all types of hatred and cultural disciplines ,stress and conflicts which led to the misunderstanding of religion and to negative effects on society.

Key-Words: Novel, Dimension, Religion, Society ,Culture